

فاصله الزيت

شوال ١٣٩٢ - اکتوبر / نومبر ١٩٧٣

RECEIVED
UNIVERSITY LIBRARY
NOV 10 - 1973





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قافلة الزيت

العدد العاشر المجلد الحادي والعشرون

محتويات العدد

بحوث أدبية

- المنهج الاسلامي في التعليم عبد القدوس الأنصاري ٤
أسامة بن منقذ محمد عبد الغني حسن ٦
الى زهرة .. (قصيدة) طاهر زمخشري ١٨
المنهج النقدي بين العقاد وطه حسين ... محمد أحمد العزب ١٩
السفونية الريفية (قصة) عبد المعطي المسيري ٢٣
همة في أذني (قصيدة) الراحل د. زكي المحاسني ٣٦
أخبار الكتب ٤٢

بحوث علمية

- برميل الزيت .. ذو فوائد جمة سليمان نصر الله ٢٥
الانسان المعاصر بين العمل والفراغ د. زكريا ابراهيم ٣٣
النيازك .. حجارة وفلزات من الفضاء محمد العيسى الذكير ٣٧

استطلاعات مُصَوَّرة

- الزراعة والآلة ابراهيم أحمد الشنطي ٩
رندة - مدينة أندلسية تالدة محمد عبد الله عنان ٤٣

التعاون على صورة الفصحى

أحد البساتين المنتشرة في ربوع حائل
بالمملكة العربية السعودية .
تصوير : علي محمد خليفة .

تصدر شهرا عن شركة الزيت العربية الأمريكية لموظفيها
إدارة العلاقات العامة - توزيع مجانا

العنوان : صندوق البريد رقم ١٣٨٩ - الظهران - المملكة العربية السعودية

المدير العام : فيصل محمد البسام
المدير المسؤول : عبد الله صالح جمعة
رئيس التحرير : منصور مدني
المحرر المساعد : عوين أبو كشك



يقف هذا المبنى كمثال حي لفن العمارة
الاسلامية .

« راجع مقال : رندة . مدينة اندلسية تالدة »



يدخل الزيت في صناعة مواد تغليف
الانابيب .

« راجع مقال : برميل الزيت .. ذو فوائد جمة »

- كل ما ينشر في قافلة الزيت يعبر عن آراء الكتاب أنفسهم، ولا تعبيرا عن وجهة نظر أي جهة أو عن أي جهة.
- يجوز إعادة نشر المواضيع التي تظهر في « القافلة » دون إذن مسبق على أن تذكر كصدر.
- لا تقبل القافلة إلا المواضيع التي لا يسبق نشرها، وهي توثيق وتلخيص النسخ الأصلية مطبوعة على آلات الحاسب، وتنقح.
- يتم تسليق المواضيع في كل عدد وفقا لمتطلبات قفلة لا تتعلق بكافة الكتاب وأهميته الموضوع.
- تنقح المقالات على النحو الذي تظهر فيه بجري عادة وفق ظروف يقتضيها « القافلة »

عِيدُ مُبَارَكٍ

أَعِزَّائِ الْمَوْظِفِينَ

إِنَّهُ لَمِنْ دَوَائِمِ غِبْطَتِي وَسِيرُورِي أَنْ أُنْتَهِمَ فُرْصَةَ حُلُولِ عِيدِ الْفِطْرِ
الْمُبَارَكِ لِأُقَدِّمَ لِرُءَسَاءِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ مُوَظَّفِي شَرِكَةِ التَّزْيِيتِ الْعَرَبِيَّةِ
الْأَمْرِيكِيَّةِ وَلِأَفْرَادِ عَائِلَاتِهِمْ أَحْرَارَ التَّهْنِائِي وَأَسْمَى الْأَمَانِي .
أَعَادَهُ اللَّهُ عَلَيْهِم بِالْخَيْرِ وَالْبَرَكَاتِ .

وَكُلِّ عَامٍ وَأَنْتُمْ بِخَيْرٍ

لَتَنْ فِي هَلْزٍ

رئيس مجلس إدارة شركة الزيت العربية الأمريكية

يَتَقَبَّلُ الْمُسْلِمُونَ فِي سَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا عِيدَ الْفِطْرِ الْمُبَارَكِ بِالْغِبْطَةِ وَالْبَهْجَةِ ...
وَيَسْرُورَةٍ وَتَحَرُّرٍ لِمَنْ تَنَهَّزَ هَذِهِ الْمُنَاسِبَةُ الْكَرِيمَةُ لِيَرْفَعَ إِلَى جَدَّةِ الْفَيْضِ وَالْمُنَظَّمِ
وَوَلِيِّ تَحْفِيدِهِ الْكَرِيمِ وَإِلَى الْمُسْلِمِينَ كَافَّةً أَخْصَاءَ التَّهْنِائِي وَالْطَّيِّبَاتِ الْمُتَمَنِّئَاتِ مُبَشِّرَةً إِلَى الْكَلَامِ
عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُعِيدَ لَهُمُ الْغِنَى وَالْأَمْنُ فِي الْقُلُوبِ وَالْثَمَنُ وَالسَّعَادَةُ وَالْإِنْفَاءُ .

وَكُلِّ عَامٍ وَأَنْتُمْ بِخَيْرٍ

هَيْسَةَ الْخَيْرِ



المنهج الإسلامي في التعليم (١)

بقلم الأستاذ عبد القدوس الانصاري

التمثلة في المطالعة ومتابعة سير العلوم بعد أن يكونوا قد تخرجوا وأخذوا الشهادات التي قدّر لهم أن يأخذوها من مدرسة أو معهد أو جامعة .. وقد أكد « أبو خلدون ساطع الحصري » ، وهو أحد أعلام التربية والتعليم المعروفين في العصر الحاضر ، أكد ما ارتآه ابن خلدون وأيده ، حيال الضرر الذي يلحق بطالب العلم من جراء خلط المعلم له علمين فأكثر ..

فقال : « ومن الطرق الواجبة في التعليم أن لا يخلط على المتعلم علمان معا .. فانه حينئذ قل أن يظفر بواحد منهما ، لما فيه من تقسيم البال وانصرافه عن كل واحد منهما بالخية . وإذا تفرغ الفكر لتعلم ما هو بسبيله مقتصر عليه ربما كان ذلك أجدر لتحصيله » .

أبو خلدون ساطع الحصريّ فشرح لنا مزية تلك النظرية التربوية التعليمية التي قررها ابن خلدون عبد الرحمن في خطة التدرج في التعليم .. وهي تشمل بطبيعة الحال عدم مزج العلوم للطالب ، بتقديمها له طبقا بعد طبق ، ودرسا بعد درس ، وعلمًا بعد علم ، وكتابًا بعد كتاب ، لئلا تتأثر نفسيته بكثرة ما قدم له فلا يستطيع ذهنه له هضمًا بحال من الأحوال ..

يقول ساطع الحصريّ : « ويؤيد ابن خلدون رأيه في القاعدة الأساسية بملاحظات نفسية هامة . فان قبول العلم والاستعدادات لفهمه ، تنشأ تدريجيا ، ويكون المتعلم أول الأمر عاجزا عن الفهم بالجملة الا في الأقل ، وعلى سبيل التقريب والاجمال والأمثال الحسية ، ثم لا يزال الاستعداد فيه يتدرج قليلا ، بمخالطة مسائل ذلك الفن وبتكرارها عليه ، والانتقال فيها من التقريب الى الاستيعاب الذي فوقه حتى تتم الملكة في الاستعداد في التحصيل ، ويحيط هو بمسائل الفن » (٣) .

عاش العلامة عبد الرحمن بن خلدون ، أحد أئمة التربية والتعليم العالميين ، بما سجله في مقدمة كتابه « العبر » في فصل عقده للتعليم ومناهجه الفضلى هذا الموضوع ، وقرر أن المنهج الذي يوصل الطالب الى الغاية المتوخاة ، وهي النجاح في تحصيل الملكة في العلم والأدب هو منهج التعليم المتدرج المتسلسل ، فلا يدرس طالب العلم أي علم ، الا بعد أن يفرغ من العلم الذي قبله ، ولا يدرس كتابا الا بعد فراغه من دراسة الكتاب الذي قبله .

قال : « اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين انما يكون مفيدا اذا كان على التدرج شيئا فشيئا ، وقليلا قليلا » .

والهدف - كما هو واضح - من سلوك المعلم لهذا المنهج ، هو اعطاؤه الطالب « جرعات » متدرجة من التعليم ، يراعى في اعطائها له استعداداه وقابليته وسنّه ومداركه ، حتى يجدي فيه التعليم ويثمر بعد نمو فكره نموا متعاقبا متتابع الحلقات ..

وقد نبه ابن خلدون الى خطورة خلط العلوم للطالب دفعة أو دفعات ، فقال : « واذا خلط عليه الأمر عجز عن الفهم وأدركه الكلال وانطمس فكره ، ويشس من التحصيل ، وهجر العلم والتعليم » (٢) .

وفي المناهج التي عليها العمل في الدول العربية اليوم تخلط العلوم ببعضها ، وتدفع لذهن الطالب كتلا بعد كتل ، وربما كان هذا هو سبب ما يلاحظ من انحطاط فهم الطلاب لمسائل العلوم التي يتلقونها بهذا الشكل المزيج ، مما يجعل السقوط في الامتحانات أمرا مألوفا مكررا . وربما كان ذلك أيضا مدعاة لما يلاحظ من سريان داء التكاسل والملل الى أذهانهم وانصرافهم عن متابعة الدراسة الخاصة

١ - أثار سؤال الأستاذ ابراهيم الفوزان الذي وجهه الي مؤخر عن حياتي الدراسية والأدبية ، فكرة كامنة بين الجوانح منذ آمد : ألا وهي فكرة بحث « المنهج الإسلامي في التعليم » . ٢ - مقدمة ابن خلدون . ٣ - دراسات عن مقدمة ابن خلدون لساطع الحصري .

أفلا ترى أن ساطعا الحصري قد شرح وحلل نظرية ابن خلدون في مزايا التعليم المتدرج ، وخواصه تحليليا علميا واضحا منسجما كشف لنا عن أبعاد عبقرية مقرر هذه النظرية التعليمية أو واضعها على أسس تجاربه ومشاهداته واستنتاجاته ؟..

ولا يكتفي ساطع الحصري بتحليل الجانب الايجابي من نظرية ابن خلدون في المنهج التعليمي المتدرج ، بل نراه يتناول أيضا جانبها السلبي بتحليل مركز عميق .. وأعني بالجانب السلبي جانب خلط العلوم ببعض وحشدها في ذهن الطالب بادىء ذي بدء ، ثم في شتى مراحل تعليمه . وهذا الخلط هو الوجه الثاني المضاد للمنهج المتدرج ..

يقول ساطع : « ويرى ابن خلدون أن النتائج التي تتولد من اهمال قاعدة التدرج في التعليم لا تنحصر في تصعيب الفهم فقط ، بل تؤدي في الوقت نفسه الى كلال الذهن وتكاسله ، وتستوجب الانحراف عن العلم وهجرانه أيضا » (٤) . وأبو خلدون فيما أوردناه عنه أنفا يؤيد بصراحة قول ابن خلدون عن مضار اتباع الجانب الآخر من مناهج التعليم :

« وإذا أُلقيت عليه على الطالب الغايات في البدايات ، وهو حيثئذ عاجز عن الفهم والوعي ، وبعيد عن الاستعداد له كَلَّ ذهنه عنها ، وحسب ذلك من صعوبة العلم في نفسه ، فتكاسل عنه أو انحرف عن قبوله ، وتمادى في هجرانه . وإنما أتى ذلك من سوء التعليم » (٥) .

واذن فان ابن خلدون يرى أن خلط العلوم ببعض وتقدمها للطالب هكذا مخلوطة متباعدة ، هو أمر ذو نتائج سيئة ضارة بمستقبل التعليم ، ويعتبر هذا المنهج الذي نرى مدارس الشرق العربي تسير عليه اليوم ، من سوء التعليم .

والواجب علينا اذن ونحن الآن على مفترق الطرق أن نبحث عن كنوز تراثنا الاسلامي ، وخاصة في قضية التعليم التي هي اللبنة الأولى في صروح تكوين نهضات الأمم .. ونستخرج تلك الكنوز من مكانها ، ونضعها على محك الدراسة والتحليل ، حتى اذا ثبت صلاحها ، وفضلها على ما تلقفناه من الغرب ، لحاضرنا ومستقبلنا ، التزمنا بتنفيذ مخططاتها وعكفنا على تحسينها وصقلها اذا كانت محتاجة للصقل أو التحسين على مدى الزمن ، وأخذناها بدلا عما كنا ومازلنا نمارسه أو نسير في دربه الملتوي الذي يقضي بنا الى عكس رغباتنا الطامحة الحثيثة ...

واذا كان ابن خلدون قد رأى قبل بضعة قرون أضرار التعليم المزدوج لمستقبل المتعلم ومستقبل التعليم معا وحذر بشدة من ارتكاب مخاطره ، ونص على اعتبار هذا النوع من التعليم سوءا ، فان أبا خلدون ساطعا الحصري المعاصر يشد أزر سلفه ابن خلدون عبدالرحمن في هذا الميدان تماما ، اذ يقول معقبا على النظريات السابق ذكرها :

« ويلاحظ أن هذه الآراء والملاحظات قيمة جدا ، وهي مما أقره علماء التربية في القرن الأخير من حيث العموم » (٦) .

ولا يكتفي « أبو خلدون ساطع الحصري » بالجمال الوجيزة التي قدمناها أنفا حيال دعمه الكلي لنظرية سلفه الامام عبدالرحمن بن خلدون ، بل نراه يضيف الى ما ذكر قوله : « وأما القواعد الأساسية التي يقرها

ابن خلدون ، فأولها وأهمها هي هذه القاعدة الجامعة : قاعدة التدرج بالطالب في تدريسه العلوم والفنون والآداب مع التكرار والتوسع المركز ، ومراعاة عقل المتعلم واستعداداته » (٧) .

ويضيف ساطع في دعمه لنظرية ابن خلدون قوله : « وما يستلفت (٨) النظر بوجه خاص أن ما قرره ابن خلدون في هذه القاعدة الأساسية - أي التدرج بالتعليم - فنا بعد فن ، وكتابا بعد كتاب ، حتى النهاية - يشبه تمام الشبه ، الفكرة الأساسية التي سيطرت على تنظيم الدراسة الابتدائية في فرنسا ، وفي كثير من البلدان الأوروبية منذ أوائل القرن التاسع عشر » (٩) .

وابن خلدون يمتاز في بحوثه بالدقة والاستقصاء .. فها هوذا يمدنا بالمدة الزمنية التي كانت - على ضوء التعليم المتدرج - مقررّة لانتهاء التعليم العام في شتى مراحله بموطنه « تونس » وبجارية موطنه « المغرب » فيقول لنا : « ان المدة التي كان الطالب يمكنها في التعليم بتونس كانت خمس سنوات ، وذلك لاجادتهم لتطبيق قاعدة التدرج بالتعليم ، وهي في المغرب ست عشرة سنة ، لعدم اجادتهم اذ ذاك لتطبيق قاعدة التدرج التعليمي » .. وينبشنا بأن المديتين : المدة القصيرة في تونس ، والمدة المديدة في المغرب هما قاعدتان لجودة الطالب في التعليم خاصة ، لا فيما سوى ذلك » (١٠) .

هذا ويرى الغزالي رأي ابن خلدون ، اذ يشترط على طالب العلم الترتيب ويبتدئ بالأهم ، فان العمر ان كان لا يتسع لجميع العلوم غالبا فالخزم أن يأخذ من كل شيء أحسنه ولا يخوض في فن حتى يستوفي الفن الذي قبله ، فان العلوم مرتبة ترتيبا ضروريا ، وبعضها طريق الى بعض (١١) وكذلك يرى الزرنوجي تماما » (١٢) .

هذا ، وقد لمح الأستاذ عبد الوهاب عبد الواسع في كتابه : « التعليم في المملكة العربية السعودية » الى ما يعاينه التعليم الحاضر من بلبلة واضطراب ، وبدهي أن ذلك يشمر المتاعب والسقوط للطلاب في امتحاناتهم السنوية خاصة ، واقترح اعادة النظر في مناهجه لتكون اسلامية واقية بمرام النهوض المنشود ، وقال فيما قال :

« ان مناهجنا الحالية هي مزيج من المناهج القديمة ومناهج بعض البلاد العربية التي تأثرت وفق الظروف آنذاك بالمدسة الفرنسية وأخرى بالمدسة الانكليزية .. لهذا كان المنهج مزيجا غير متناسق في أغلب مباحثه وموضوعاته ، وكانت التعديلات التي تطرأ عليه بين حين وآخر محاولات مخلصة ، لتخليصه من هذا الاضطراب » .

فعلى ضوء ما أشار اليه الأستاذ عبد الوهاب عبد الواسع من ناحية اضطراب منهج التعليم وأسبابه ، وعلى ضوء ما تسير هذه البلاد في فلكه من تحفز وتوثب الى الأمام في شتى المجالات ، وخاصة مجال التعليم الذي هو القاعدة الأولى لكل نهوض يراود ، رأيت أن أضع بين يدي رجال البحث والتعليم في بلادنا وفي العالم العربي والاسلامي هذا الموضوع رجاء أن يكون فيه ما يوفض (١٣) بنا الى اقامة منهج اسلامي سليم في التعليم ، بحيث تنمو شجرته ، وتصبح دوحة ضخمة مثمرة بما نرتجيه منها من يانع الثمار وقاخرها ..

عبد القدوس الانصاري - جدة

- ٤ - دراسات عن مقدمة ابن خلدون لساطع الحصري . ٥ - مقدمة ابن خلدون . ٦ ، ٧ - دراسات عن مقدمة ابن خلدون لساطع الحصري . ٨ - صيغة : « يستلفت » وصيغة « يلتفت » كلتاها لا تؤيدان المعنى المراد منهما حديثا ، وهو : « توجيه النظر الى أمر ما » ، بل بالعكس ، فهما تعنيان لغويا : « صرف النظر عن أمر ما » . ٩ ، ١٠ - دراسات عن ابن خلدون لساطع الحصري . ١١ - إحياء علوم الدين . ١٢ - تعليم المتعلم . ١٣ - يوفض : يسرع .

الأمير العربي الفارس

بقلم الأستاذ محمد عبد الفتي حسن

الأمير العربي الفارس

الناس من تضيق بهم حياتهم بأقطارها المحددة بالأعمار ، فيوسعون أقطارها بأعمالهم ومغامراتهم ومخاطراتهم ، ويمدون آفاقهم بحركتهم التي لا تتوقف ، ونشاطهم الذي لا يتخلف . ومن الناس من يجدون حتى في طول أعمارهم قصرا عن بلوغ آمالهم وإدراك مآربهم ، فيعيشون بذكرهم . ومن هؤلاء الناس الذين عاشوا الحياة طولا وعرضا ، وكانت لهم من بعد حياتهم ذكرى عطرة الأمير العربي الفارس «أسامة ابن منقذ» الذي عاش ستة وتسعين عاما . لم يملّ خلافا من الحياة ، ولم يسأم تكاليفها ، كما سئمها الشاعر الجاهلي زهير بن أبي سلمى حين بلغ الثمانين . ولكنه ظل يعب من الحياة عبا ، ويشارك الأحياء في غدوهم ورواحهم ، وفي تعبهم وكفاحهم ، فعاد الى دمشق بعد أن تجاوز التسعين بناء على دعوة من صلاح الدين الأيوبي ، ولم يقعه الوهن واشتعال الرأس بالمشيب عن أن يلقي محاضرات في علم البديع ، ويعطي دروسا في المدرسة الحنفية بدمشق ، ويدون مذكرات عما مرّ به من صور الحياة الخافلة الزاخرة التي عاشها ، يسجلها بيده المرتعشة تارة ، ويمليها على أحد تلاميذه تارة أخرى ، في أسلوب مرسل سهل طبع ، يجري مع الطبع بلا تكلف ولا تنميق ، وتواتيه العبارة المعبرة حيثما اتفق ، حتى لقد تصادفه اللفظة الدارجة العامة أو المولدة فيوثرها على

الفصيحة ، إثارا للتفهم ، وجريامع الاستعمال . وقد اجتمع له من تلك المذكرات كتاب برمته ، أسماه «الاعتبار» . ولو أن كلمة «المذكرات» كانت قد عرفت في ذلك العهد الذي مضى عليه قرابة ثمانمائة عام ، لكان أسمى كتابه بالمذكرات ، كما يفعل كثير من الرجال في زماننا هذا . ولكنه اختار اسم «الاعتبار» ليجعل من تجاربه موضوعا للبرة ، ومن التجارب التي دونها لغیره مجالا للموعظة .

أصرار أسامة بن منقذ على تدوين سيرة حياته وهو حول التسعين . ومع أنه كان شديد الحسرة على ارتعاش تلك اليد التي طالما حطمت القنا في لبّات الأسود ، فإنه ظل دابّا على الكتابة والتدوين ، وإن كان يبدى التحسّر لما حلّ به من ضعف واضطراب ، فيقول—وهو شاعر متين الديقاق—في شعر مؤثر حزين :

مع الثمانين عاثّ الدهر في جلدي
وساءني ضعف رجلي واضطراب يدي
إذا كتبت فخطي جد مضطرب
كخط مرتعش الكفين ، مرتعد
فاعجب لضعف يدي عن حملها قلما
من بعد حطم القنا في لبّة الأسد
وإن مشيت وفي كفي العصا ثقلت
رجلي ، كأني أخوض الوحل في الجلد
ولعل الأمير العربي الفارس أسامة بن منقذ

هو أول مؤلف عربي يكتب على كتابه مذكراته ، وتدوين سيرة حياته بتفصيل كثير . ويعدّ كتابه «الاعتبار» أول سيرة ذاتية مفصلة يظهر بها التأليف العربي . وليس معنى هذا أنه أول من ترجم حياته بنفسه في تاريخ الفكر العربي ، فقد سبقه الى الترجمة الذاتية ابن سينا الفيلسوف المتوفى سنة ٤٢٨ هـ ، الذي ترجم لنفسه ، وعرف بأحواله تعريفًا اعتمد عليه تلميذه «أبو عبيد الجوزجاني» فيما كتبه عنه وفصله من أحواله . والفرق بين الترجمتين ، أن ابن سينا أوجز في سيرته الذاتية إيجازا أكمله بعده تلميذه أبو عبيد ، وسدّ ثغراته . أما «أسامة بن منقذ» فقد أرسل نفسه على سجيته في الحديث عن نفسه ، وعن أسرته الكثرانية ، وعن ذكرياته ، وعن تقلب الأحوال به . وكأنه ، وهو يكتب أو يملي مذكراته ، كان يستعرض شريطا حافلا بالأحداث فيعيد عرضه على القارئ بتفصيل كثير . والفرق أيضا أن «ابن سينا» كان يترجم لنفسه فقط ، فلم يتجاوزها الى ما يحيط به من أناس ، وعوالم ، وأحداث . أما أسامة فقد ترجم في كتابه لنفسه ولعصره ، ولهذا تخرج من قراءة كتابه «الاعتبار» بصورة واضحة عن القرن السادس الهجري ، بما كان فيه من صراع بين العرب والمسلمين من ناحية ، وبين المسلمين والصليبيين من ناحية أخرى .

ولقد قرأ كتابا من كتب التاريخ في تلك الفترة الطويلة العريضة التي عاشها أسامة ابن منقذ ، ككتاب ابن الأثير ، وكتاب ابن كثير ، وكتاب « النجوم الزاهرة » للأنابكي ، فترى كثيرا من الأحداث مدونة مسطورة ، ولكنك لا ترى الحياة والحيوية التي جرت فيها تلك الأحداث كما صورها قلم « أسامة بن منقذ » في مذكراته . أنه رجل لا يسرد تاريخا ، ولكنه رجل يعايش تاريخا ، ويحياه ، ويحكيه كما أثر فيه وتأثر به .. ومن هنا كانت القيمة الكبرى لهذه السيرة الذاتية التي كتبها أسامة في مذكراته . ولقد شارك « الأمير أسامة » في كثير من أحداث ذلك العصر ، فاتصل بالوزير « معين الدين أنر » القابض على زمام الأمور في دمشق ، ووفد الى مصر في عهد الخليفة الفاطمي « الحافظ » ، واتصل به كما اتصل بالخليفة « الظافر » من بعده ، وشهد الصراع العنيف بين وزراء ذلك العهد الفاطمي ، حتى لقد قيل أنه اتهم بالتحريض على مقتل الوزير « ابن السلار » ليحل محله في الوزارة ... وعاد أسامة الى دمشق ثانية سنة ٥٤٩هـ ليقضي عشر سنوات في بلاط « نور الدين » البطل الاسلامي المكافح الذي ورث عن أبيه عماد الدين زنكي زعامة المسلمين في الجهاد ضد الصليبيين . ورحل الى ديار بكر سنة ٥٦٠هـ ليقضي عشر سنوات آخر في كنف الأمير « فخر الدين » صاحب حصن « كيفا » المنيع المشهور ، الذي افتخر بأنه

ضم الى بلاطه فارسا عربيا كانت له صلة وثيقة بالبلاط الفاطمي في مصر ، وببلاط نور الدين في الشام ، وله باع طويل في تدبير الممالك ، وسياسة الدول ... ذلك الفارس هو « الأمير العربي أسامة بن منقذ » ... وكانت خاتمة المطاف لهذا الفارس العربي المحنك هي بلاط صلاح الدين الأيوبي ، حيث وفد عليه أسامة بدعوة منه سنة ٥٧٠هـ . وظل في دمشق أربعة عشر عاما ، الى أن أدركته منيته في سنة ٥٨٤هـ .

ومجرب أسامة بن منقذ في مذكراته التي يشتمل عليها كتابه « الاعتبار » ، والتي تحوي أطرف سيرة ذاتية في التأليف العربي حديثا ممتعا ، مفكك الأوصال ، متنقل الموضوعات ، متنوع الاستطراد ، متعدد الملاحظات ، كأنه جد بلغ من الكبر عتيا يتحدث الى بنيه وحفدته . فهو يسوق النادرة تلو النادرة ، والخبر عقب الخبر في استحضار حي للحوادث ، واسترجاع طريف للماضي ، وتصوير زاه للأمس . وكأن كتابه نموذج حي لحياته الدافقة النشيطة المتقلبة التي لا يقر لها قرار بين قلعة شيزر قرب حماة ، ودمشق ، والقاهرة ، وديار بكر ، وبيت المقدس ، وهو في كل ذلك لا يتخلل عن القروسية العربية ، والشجاعة النادرة التي لازمتها طول حياته حتى وهو على فراش الموت ، حتى وصفه الأمام « الذهبي » المؤرخ بأنه « أحد أبطال الاسلام » ونعتة المؤرخ « ابن الأثير » بأنه « كان من

الشجاعة في الغاية التي لا مزيد عليها » . وما ظنكم برجل كان اذا فرغ لحظة من قتال الرجال مال الى مقاتلة السباع . وقد ورث أسامة الصيد عن والده ، كما يقول ، ولم يجد في الصيد هوا ولا لعبا ، ولكنه وجد فيه جانبا لا يضيعة بعد جانب الله ... وقد افتتح باب أخبار الصيد في مذكراته بقول الشاعر :

ولله مني جانب لا أضيعه

ولله مني البطالة جانب ويحكي لنا أسامة في ترجمته الذاتية جوانب شائقة عن خروجه للصيد ، ومشاهدات له مع ملك الأمراء « الأنابكي زنكي » في الموصل ، و « شهاب الدين محمود » في دمشق ، و الخليفة الفاطمي « الحافظ » في مصر ، و الأمير « معين الدين » في عكا ، و الأمير « فخر الدين أرسلان » في حصن كيفا بديار بكر ، و البطل المسلم « نور الدين » في حماه . ومن العجيب أن الأمير الفارس ابن منقذ كان يجمع عند هؤلاء الملوك والأمراء بين تدبير الملك ، وسياسة الحكم ، وترتيب المصائد والمطارد ... ويذكر لنا في آخر كتابه أنه شهد الصيد سبعين سنة من عمره . كما يذكر لنا في موطن آخر أنه قاتل السباع في عدة مواقف لا يحصيها ، وأنه قتل منها عدة لم يشاركه في قتلها أحد ، وأنه عرف من قتالها وخبر منها ما لم يعرفه غيره . ولا يذكر أسامة والده في مذكراته الا بكل خير دائما . ويعقد في كتابه



أن يأخذ معه ابنه «أبا الفوارس مرهف بن أسامة» إلى بلاد الفرنجة «ليبصر الفرسان»، ويتعلم العقل والفرسية». وهنا يعلّق أسامة بأسلوبه الظريف قائلا: «... فطرق سمعي كلام لا يخرج من رأس عاقل! فأن ابني لو أسر ما بلغ به الأسر أكثر من رواجه إلى بلاد الافرنج!»

ويلاحظ «أسامة بن منقذ» في باب طريف من مذكراته الممتعة، كثيرا من طبائع الافرنج النازلين بالشام وأخلاقهم. ويقرر—غير مرة—أن الافرنج الذين تلبدوا أي أقاموا ببلاد الشام زمنا وعاشروا المسلمين—أصلح وأرق أخلاقا من أولئك القريبي العهد ببلادهم: أي الذين وفدوا حديثا على بلاد الشام. فهو لاء النازلون حديثا أجنى أخلاقا من النازلين قديما. فكانت الإقامة في البيئة العربية المسلمة تهذب من طباعهم، وترقق من جفائهم.

وعلى الرغم مما في كتاب «الاعتبار» من مذكرات لأسامة بن منقذ من أحداث صغار وكبار شهدتها المؤلف بعينه، وشارك فيها بنفسه. وعلى الرغم من تصويره الدقيق البديع للملامح كثيرة من المجتمع العربي الاسلامي، وملامح غير قليلة من المجتمع الافرنجي الصليبي في ذلك العهد، فإن فيه فصلا عن أخبار الصالحين، وعن التداوي من العلل والاستشفاء من الأدواء بطرق غريبة انساق فيه المؤلف للمعتقدات التي كانت سائدة في عصره ■

محمد عبد الغني حسن - القاهرة

كثير وكسوات وجواهر وسلاح وسيف وذهب وفضة، وخزانة كتب حرص أسامة على أن تنقل إليه في دمشق. وقد نهب ذلك كله، فما عزّ على أميرنا العربي شيء مثل نهب كتبه ووقوعها في يد الفرنجة. وندعه يعبر عن ذلك بقوله في مذكراته: «وكننت اذ ذاك أي حين نهب المركب مع الملك العادل—يعني البطل نور الدين—في بلاد الملك مسعود، سلطان قوية، فهون علي سلامة أولادي وأولاد أخي. وحرمتنا ذهاب من المال. الا ما ذهب لي من الكتب فأنها كانت أربعة آلاف مجلد من الكتب الفاخرة. فأن ذهابها حزاة في قلبي ما عشت..»

كان «أسامة بن منقذ» فارسا، صليبا، وشجاعا، وسياسيا معنكا، وصيادا ماهرا، وأديبا، ومولفا عظيما، وقارئا يحزّ في نفسه ضياع كتبه في ظرف من الظروف. ولقد أتيج لأسامة أن يعيش على مقربة من الافرنج الذين أسسوا ممالك وامارات مسيحية ببلاد الشام في فترة الغزو الصليبي، حتى حقق البطل صلاح الدين انتصارات هائلة على الصليبيين وأعاد بيت المقدس إلى المسلمين. وكانت المهاندات المتكررة بين العرب والفرنجة في ذلك العهد تهيبّ جوا من حسن الجوار بين الطرفين... وهذا الجو قد أتاح لأميرنا العربي المسلم أن يدرس الافرنج والصليبيين عن كثب. وأن يتعرف إلى كثير من أمورهم وطباعهم، وأن يتودد إليه بعضهم فيطلب منه

فصلا خاصا بوالده الشديد الولوع بالصيد، فيقول في مستهله: «... وذلك أن والدي رحمه الله كان قد فرغ زمانه لتلاوة القرآن والصيام، والصيد في نهاره. وفي الليل ينسخ كتاب الله تعالى. فكان قد نسخ ستا وأربعين ختمة بخطه رحمه الله، منها ختمتان بالذهب جميع القرآن. ويركب إلى الصيد يوما ويستريح يوما...»

جدا في ترجمة «أسامة بن منقذ» حياته أنه جمع في آن واحد بين أسباب الجد، وأسباب المجد، وأسباب اللهو في نفسه، على توازن في التقسيم، واعتدال في النصيب. فلم يطغ فيه جانب اللهو مثلا على جانب الجد، فهو مثلا يصيد الأسود، والظهود، والغزلان، والدراج، وطيور الماء، والسّمّان، والأرانب، والزراير وغيرها، ولكنه—في الوقت نفسه—يصيد الرجال والدعاة في المخططات التي كان يدبرها. وهو يقتني غالي الثياب، ونفيس الجواهر، وثمان السيوف والسلاح، وفاره الخيل، ولكنه—في الوقت نفسه—يقتني مكتبة عامرة بنفائس الكتب، ويحرص على تجليدها وتذهيبها وتحليتها. ولم يكن يجمع الكتب للمفاخرة والمكاثرة والمباهاة، شأن كثير من سراء ذلك العهد، ولكنه كان يقرأها ويحفظ متونها، ويعلّق على هوامشها. ولما نهب ملك «عكا» الافرنجي المركب الذي سافر عليه أهله وولده من دمياط إلى الشام، حين استقر على العمل ببلاط «نور الدين»، كان في المركب متاع

آلة الحصاد التي تم تطويرها في أواخر القرن التاسع عشر كانت أعجوبة العصر ، ولكنها كانت
من الضخامة بحيث احتاجت إلى ٣٢ حصانا لجرها .



الزراعة والآلة

الأرضُ بِخَيْرَاتِهَا الزَّرَاعِيَّةِ مَصْدَرُ
غِذَاءٍ وَكِسَاءٍ لِلإِنْسَانِ، ففِي
بِقَاعِهَا الْحَضْبَةِ يَزْرَعُ الْإِنْسَانُ
الْحُبُوبَ وَالْخَضِرَاتِ وَالْبُقُولَ
وَالْفَوَاكِهَ لِيَتَّخِذَ مِنْهَا غِذَاءً،
وَيَزْرَعُ نَبَاتَاتِ الْقُطْنِ وَالْكُتَّانِ
وَالْقَبِّ لِيَتَّخِذَ مِنْهَا كِسَاءً. وَقَدْ
مَرَّتِ الْأَسَالِبُ الزَّرَاعِيَّةُ الَّتِي
بَنَتَهَا الْإِنْسَانُ بِأَطْوَارٍ مُخْتَلِفَةٍ
عَبْرَ التَّارِيخِ، وَارْتَفَتْ تَدْرِيجًا حَتَّى
غَلَّتِ الزَّرَاعَةُ فِي الْمَحْمَعَاتِ الصَّنَاعِيَّةِ
الْمُقَدِّمَةِ آليَّةٍ فِي مُعْظَمِ مَجَالِهَا.





أصبحت عملية درس الحبوب سهلة نسبياً في أواسط القرن الثامن عشر عندما استخدمت الخيول لجر أجهزة الدرس الآلية
رسم للفنان و. م. كاري

قد لا يصدق المرء أن تاريخ التقدم الزراعي الهائل الذي أحرزه الإنسان على هذه الأرض يعود إلى أقل من مئتي سنة خلت ، وذلك عندما بدأ باستغلال مختلف مصادر الطاقة في الأغراض الزراعية . فالإنسان ، عندما انتقل من حياة البداوة إلى حياة الاستقرار راح يزاوِل النشاط الزراعي ، فاتخذ في بادئ الأمر غصنا من الشجر يشق به الأرض ، كأول أداة زراعية له ، ثم تطور الأمر معه ، وأخذ يشكّل الأدوات حسب حاجته وتجربته ، إلى أن أصبحت الآلة اليوم من أهم أسباب التقدم الزراعي في مختلف الأقطار .

الإنسان والحيوان والآلة

ظل الإنسان ، عبر العصور المختلفة محدود القوة في صراعه الدائم مع التربة وحاجته إلى الطاقة . وظل يعتمد حتى بداية القرن التاسع عشر ، على الأدوات الزراعية البدائية كالفاأس ، والمنجل ، والمحراث البسيط يجره بنفسه أو في حالات قليلة تجره الحيوانات .

ثم بدأ أعظم تقدم في تاريخ الزراعة عندما أخذ الإنسان باستعمال الطاقات البديلة لطاقته البدنية . وإذا جاز لنا أن نسمي القرن التاسع عشر بعصر الطاقة الحيوانية ، وجب علينا أن نطلق على القرن العشرين عصر الطاقة الآلية أو الميكانيكية ، وتعتبر مصادر الطاقة الجديدة التي اكتشفها الإنسان مع ما حققه من تقدم تكنولوجي باهر ، هي الأسباب الحقيقية وراء التقدم الزراعي الهائل في عصرنا الحديث .

حتى أواخر القرن الثامن عشر ، كان المزارعون في مختلف الأمصار يحثرون الأرض بأدوات زراعية بسيطة كالتي كانت تستخدم في القرون الأولى . وكان استخدام الحيوانات في تلك الأيام مقصوراً على إدارة حجر الطاحون ، أو جر محراث بدائي الصنع . وبحلول القرن التاسع عشر بدأت الاختراعات بالظهور وخاصة في مجال الزراعة ، فطراً على المعدات الزراعية تطور ملحوظ عندما اتجه الإنسان إلى الانتفاع بالطاقة الحيوانية . فصارت الخيول والبيغال والثيران والجواميس تستخدم في جر المحاريث المتطورة وأدوات الفلاحة والزراعة والحصاد . وفي منتصف القرن التاسع عشر أخذ الإنسان يستخدم الآلات البخارية في الأغراض ذاتها ، غير أن هذه المعدات لم تثبت جدواها الزراعية إلا في الأراضي الواسعة المستوية ، أو كمصادر للطاقة الثابتة بدلاً من

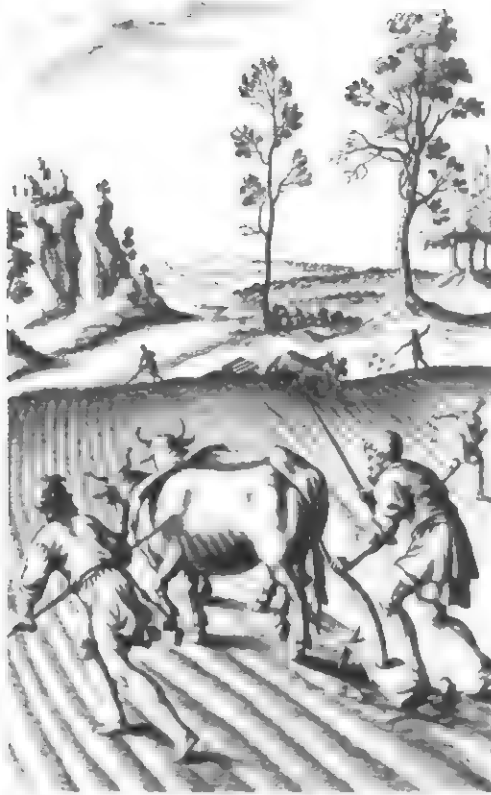
بالطرف الثاني ليجره بنفسه أو يربطه إلى قرون البهايم أو أذيالها . ولم يتكرر الإنسان الأكليل الذي يوضع على كتفي الدابة وحول عنقه لمساعدتها على الجر إلا منذ حوالي ألف سنة . وكذلك ظل المحراث يصنع من الحطب حتى أواخر القرن الثامن عشر وكان محدود الفائدة في قلب الأرض خاصة وأن الأثلام التي يشقها سطحية قليلة العمق .

ثم تطور المحراث الخشبي عندما أدخلت عليه سكة مصنوعة من الحديد يسهل بها شق الأرض إلى أعماق أكبر . وأخذ المزارعون باستعمال المحراث ذي السكة بكثرة في الأراضي الرملية والكثيرة الحصى . ومع أن الوحل الذي يعلق بالسكة لدى حث الأراضي الطينية كان يضطر العامل إلى تنظيفه بين الفينة والأخرى ، إلا أنه بقي أفضل من سابقه من حيث المتانة والقوة . وبحلول عام ١٨٣٠ أمكن صنع المحراث بكامله من خام الحديد ، وانتشر استعماله في مختلف الأراضي الزراعية . وساعد هذا المحراث الحديث على إنتاج محاصيل أوفر من الحبوب وغيرها . وأعقب هذا الحدث تطور سريع ، فصنعت محاريث الواحد منها أكثر من سكة أو نصل ،

الطواحين التي كانت تدار بالماء أو بالهواء . وبحلول القرن العشرين ظهرت الآلة ذات الاحتراق الداخلي التي قلبت الأوضاع الزراعية رأساً على عقب حيث استعملت لتشغيل المعدات الزراعية المختلفة كالجرارات والحصادات والمحشات وغيرها . وبمرور الزمن أصبحت هذه المعدات على اختلاف أنواعها ومهامها وحدة متكاملة تقوم بمختلف أعمال الحراثة والزراعة والبذر والحصاد وغيرها من الأعمال . وقد ارتفع الإنتاج في المزارع تبعاً لذلك . ففي عام ١٨٧٠م مثلاً ، كان متوسط ما لدى المزارع العامل من طاقة يساوي ١,٦ حصاناً آلياً ، أما اليوم فقد زادت الطاقة المتوفرة لديه زيادة كبيرة ليس في الدول الصناعية المتقدمة فحسب ، بل في سائر أقطار العالم .

تخصيب التربة

تدل النقوش التي عثر عليها في مصر وبلاد ما بين النهرين ، والتي يعود تاريخها ، إلى ٦٠٠٠ عام قبل الميلاد ، على أن الإنسان كان يستعمل غصنا على شكل « Y » لشق الأرض . فكان يضع أحد طرفيه في الأرض ويمسك هو



كان شق الأرض وحرثها في القرون الوسطى عملية بدائية صرفة ولكن الانسان تعلم كيف يستعاض عن طاقته الجسدية بمصادر الطاقة الأخرى .
لوحة للفنان ونزل هولر



محراث صغير ذو سكة واحدة أخذ ينتشر استعماله في المملكة العربية السعودية .

جرارة تستخدم لجر آلات البذر في مشروع حرض الزراعي في المملكة العربية السعودية .
تصوير : ت.ف. والترز





- ١ - الروافع الثقيلة تستخدم في فتح قنوات الصرف في واحة الاحساء .
- ٢ - محراث الصاج من الآلات التي شاع استعمالها في المناطق الزراعية في المملكة العربية السعودية .
- ٣ - تمهيد الأرض وتهيتها للزراعة في المملكة العربية السعودية غدا يتم بسرعة بفضل المعدات الضخمة .
- ٤ - آلة يدوية خفيفة يستعملها المزارعون في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية لاقتلاع الأعشاب الضارة
- ٥ - عملية بذر الحب تتم الآن باستعمال آلة يدوية صغيرة ، أهم مزاياها توفير البذور والعناء .
- ٦ - صناعة الجارات تعطى أولوية خاصة في الهند لأنها تسعى بخطى حثيثة نحو الاكتفاء الذاتي في إنتاج الغذاء بفضل الزراعة الآلية .

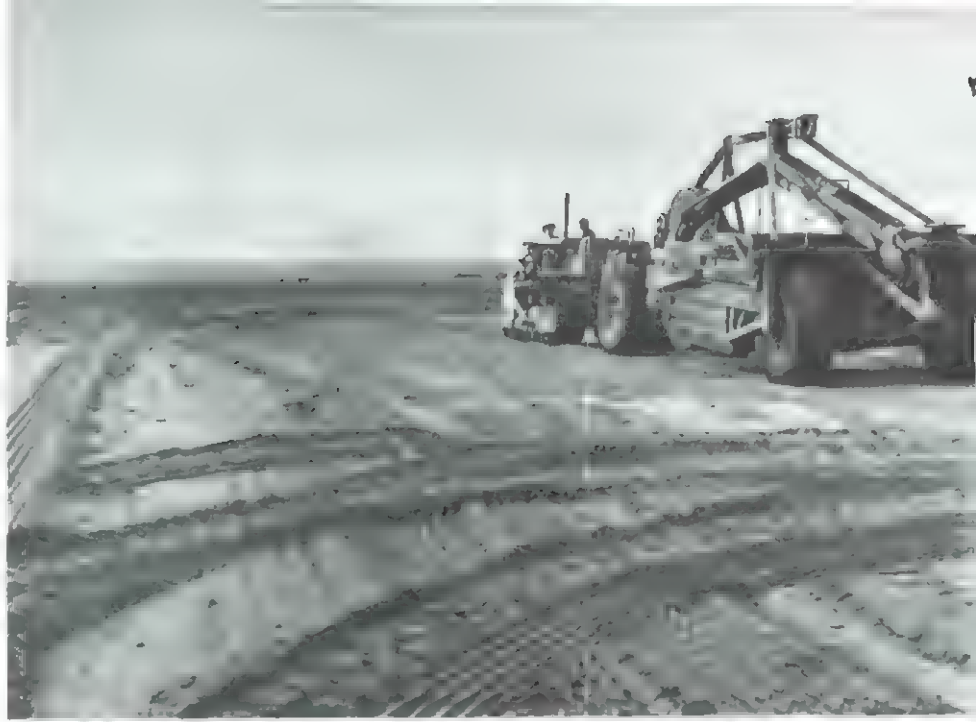
كما زاد عدد الحيوانات التي تجرها ، ولم يمض طويل وقت حتى حلت الجرارة (التركتور) محل الحيوانات للمهمة ذاتها . وما أن انتهى القرن التاسع عشر حتى أصبح المحراث ذو الأقراص منتشرا في عدد من البلدان ، وصار لكل نوع من الأرض أو العمل محراث خاص به . وباستعمال وسائل التحكم الهيدروليكي ، التي ظهرت ابان الحرب العالمية الثانية أصبح باستطاعة مشغل الجرارة استبدال الأجهزة أو المعدات التي يريد استعمالها بسهولة ويسر في وقت قصير .

وتبعاً لتطور المحراث تطورت كذلك معدات تمهيد الأرض وتسويتها قبيل الزرع . فصنعت في الرويج أجهزة رحوية ودوارة وأخرى ذات أطر فولاذية ، كما صنعت معدات بأسنان متفاوتة البعد تفتت الكتل الترابية التي تنتج عن الحراثة العميقة كما تجمع الأعشاب الضارة والحشائش البرية .

زراعة النباتات والعناية بها

صورة المزارع المنعزل عن الناس ، وهو يبذر الحب يديه في الأرض التي أعدها بالجهود والعرق ، هذه الصورة لا تزال تحتفظ بسماتها وظلالها العميقة حتى يومنا هذا في كثير من بقاع المعمورة . ومع أن الطريقة الآلية الحديثة في عملية بذر الحب كانت معروفة منذ القدم بصورة بدائية في الهند والشرق الأوسط والصين واليابان ، إلا أن تلك الطريقة اندثرت مع الزمن ثم عادت الى الظهور ولكن بصورة أكثر فعالية وأوفر عطاء .

ويقال بأن أول جهاز لبذر الحبوب صنع في الصين حوالي عام ٢٨٠٠ قبل الميلاد . كما استخدم جهاز ذو عجلتين ، في ايطاليا ، حوالي عام ١٦٠٠ بعد الميلاد . واستعملت في انجلترا « بذارات » لنثر الحبوب في أواسط القرن السابع عشر ، كما أعطي أول ترخيص لصنع البذارات في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٧٩٩ . غير أن البذارات التي تنظم توزيع الحبوب لم تبتكر الا في حوالي منتصف القرن التاسع عشر . وفي نفس الوقت اخترعت أجهزة ومعدات أخرى تقوم خلال عملية واحدة ، بوضع السماد وطمره ، وبذر الحبوب وتغطيتها بطبقة خفيفة من التراب . وغدت الآلات الزراعية المتعددة الأغراض ، تقوم



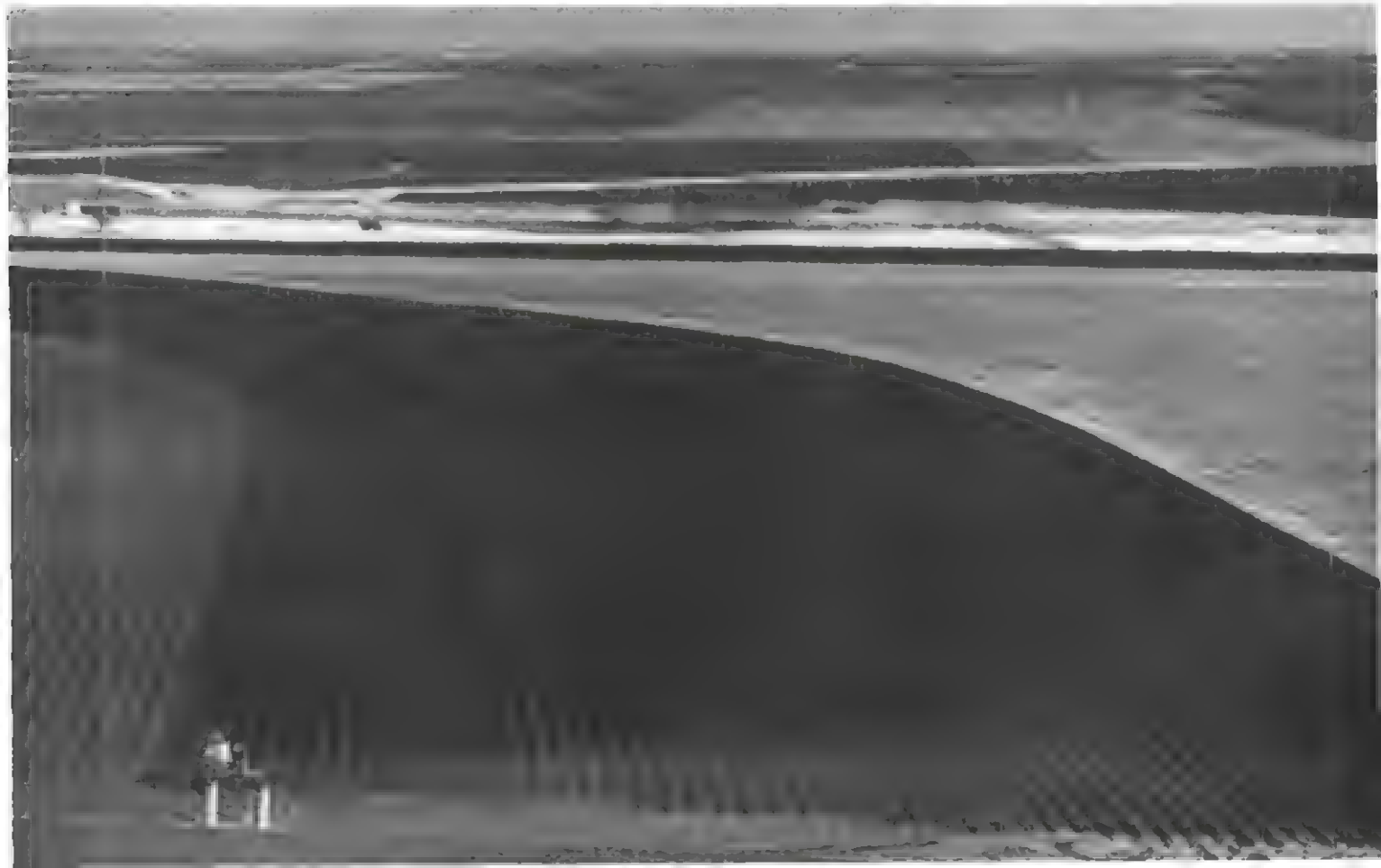


بتسميد الأرض وبذر الحبوب في آن واحد في قطاع يربو عرضه على ١٥ مترا .
 وخلال السنوات المائة والخمسين الماضية ابتكرت آلات لبذر الحبوب في خطوط متقاربة وعلى أبعاد متساوية بدقة فائقة كما هو الحال في الدرة الصفراء وشمندر السكر والبطاطا وغيرها من النباتات . وقد أصبح بإمكان آلة نثر بدور الدرة الصفراء مثلا أن تنجز ثمانية خطوط وأكثر في آن واحد كما تقوم . في الوقت ذاته . بوضع السماد ورش مبيدات الحشرات للقضاء على الأعشاب البرية الضارة . وقد تم مؤخرا تطوير آلة زراعية قادرة على شق الأنلام . وري الأرض . ووضع السماد . وزرع الأشجار وطمر التراب حولها . كل ذلك خلال عملية واحدة .

لقد ظل المنجل . الذي استخدمه المصريون قبل حوالي ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد . هو أداة الحصاد التقليدية المستعملة عبر آلاف السنين . وكذا قرينه المحش . وذكر أحد المؤرخين القدامى أن جهاز حصاد ابتكر في القرن الأول للميلاد . كان عبارة عن منشار حاد مركب

تعتبر آلة جني القطن تحديا صعبا لمهندسي الآلات الزراعية . ولم يبدأ استعماله بشكل عام الا في الأربعينيات من هذا القرن . ومنها نوع حديث ينتزع القطن من ابراعم المتفتحة ويترك المقعنة منها الى جونة أحد تصوير : بير ر

عدت أعمال الحراثة التي كانت تقسم ظهر اعداء عملية سهلة بفضل استخدام الجرارات . تصوير : شل هرشورن



على عربة يجرها ثور ، ويتحرك المنشار تبعاً
لحركة عجالات العربة فيحصد السنايل وتسقط
في العربة . وبقي الأمر كذلك فيما يتعلق
بالحصاد ، فيه الكثير من النصب والمشقة ،
حتى حلول القرن التاسع عشر عندما تم ابتكار
معدات أفضل وأسرع .

ولعل الحصاد تقف على رأس المعدات
الزراعية الحديثة فقد طورت بحيث أصبحت
تحصد وتجمع وتحزم في عملية واحدة .

وتبعاً لتقدم معدات الحصاد تطورت معدات
درس الحبوب وفصلها عن قشورها . وقد ظلت
عملية الدرس حتى منتصف القرن التاسع عشر
تتم بهرس السنايل والكيزان بالأيدي أو بأرجل
الحيوانات . وظل الأمر كذلك حتى ابتكرت
آلة تجمع بين درس السنايل وفصل القشور
عن الحب . ثم تطورت هذه المعدات وأصبحت
تقوم بثلاث عمليات في آن واحد فتحصد
وتدرس وتفصل الحبوب عن قشورها . وكانت
الخيول تستخدم في بادئ الأمر لجبر هذه
المعدات ثم استخدمت فيما بعد محركات
بخارية وتلتها الجرارات . وأصبح بإمكان
عامل واحد القيام بمختلف أعمال الحصاد
ودرس الحبوب . وجدير بالذكر أن تلك



استخدام الآلات الزراعية الصغيرة أخذ يزداد بسرعة في مختلف أقطار العالم .

من الآلات الزراعية الحديثة آلة لحر الخشائش الحافة التي تستعمل غذاء للحيوانات . فهذه الآلة
تقص الخشائش وتضمنطها في بلات متساوية الأحجام ثم تربطها وتطرحها على الأرض لتجمعها
الشاحنات من بعدها .
تصوير : نولان داترسون





كما أن محطات تحلية مياه البحر التي يجري الآن تطويرها لتعمل بتكاليف زهيدة قد تصبح ، في المستقبل ، مصدرا يعتمد عليه لري المزارع فتونع الصحاري القاحلة من بعد جفاف .

والأقمار الصناعية التي أخذت تجوب الفضاء في أيامنا هذه ستغدو أجهزة فعالة لمسح الأراضي الزراعية في مختلف الأقطار والقارات مما يتيح للإنسان تخطيط إنتاج المحاصيل الزراعية بشكل أفضل في المستقبل . وسوف تكون هناك اختراعات يستطيع الإنسان بواسطتها الاستفادة من طاقة الشمس وحرارتها ومن الطاقة الذرية كذلك . ولن يكون الزيت بمنأى عن الاستفادة منه في الأعمال الزراعية فما هو يستعمل اليوم لتثيت الرمال والتحكم في نمو الأعشاب البرية والاحتفاظ بالتربة رطبة ندية . وأخيرا هناك الآن فكرة تجول في الأذهان ألا وهي زراعة المحيطات . وهذا يعني أن في إمكاننا توقع الكثير من وراء هذه الفكرة فيما لو تنجح التجارب الخاصة بها . وما من شك في أن الفكرة ستحتاج الى أجهزة ومعدات غاية في التعقيد . ومع ذلك فإن الإنسان دأبه التطلع الى الأمام رائده الحياة الأفضل ■

إبراهيم أحمد الشطي
عن مجلة (أويل لايف سريم أوف بروجرس)

أفريقيا . الاتجاه الى الزراعة الآلية في هذه الأقطار ليس بالمهمة السهلة وخاصة من ناحية الأيدي العاملة التي ستتأثر من جراء ذلك . ولكن الدلائل تشير الى أن التحول الى الآلة في الزراعة يمكن أن يتم دون إلحاق ضرر بالمجتمع . ففي الولايات المتحدة الأمريكية مثلا يعمل الآن حوالي عشرة في المائة من السكان في الزراعة . ويسير الاتجاه اليوم نحو تصغير حجم الآلات والمعدات الزراعية . ففي اليابان مثلا ، لا تزال الأسر تمتلك الوحدات الزراعية الصغيرة منذ مئات السنين وهذا أصبح لا مندوحة من تخفيف عبء العمل الزراعي الشاق عنها بتطوير جرارات صغيرة قوية تستعمل في أغراض متعددة . وقد حذت بلدان زراعية كثيرة حذو اليابان فأخذت تنتج مصانعها آلات زراعية صغيرة قليلة التكلفة تتمكن الأسر الفقيرة من شرائها واستخدامها .

ويستطيع المرء أن يتطلع اليوم الى أفكار جديدة واختراعات فريدة . فقد ابتكر أحدهم مؤخرا جهازا يقوم بأعمال الحرثة دون حاجة لمن يشغله . وهناك تجارب جارية الآن ترمي الى استعمال الماء المستخدم لتبريد الآلات في المصانع ، وهو غالبا ما يكون ساخنا ، وضخه في الأرض تحت النباتات لزيادة محصولها .

المعدات قد طورت أصلا لحصد سنابل القمح والشوفان بيد أنها تستعمل اليوم لحصاد وجمع محاصيل الفول والفاصوليا والذرة الصفراء وغيرها . ومن الآلات الزراعية الحديثة المتعددة الأغراض آلة جمع الذرة الصفراء ، اذ تلتقط الكيزان وتقرشها وتدرسها وتنقيها في عملية واحدة . كذلك آلة جني القطن التي تجمع وتحزم بمعدل بالة في كل نصف ساعة . وهناك أيضا آلات جني محاصيل البطاطس التي تقتلع النباتات وتستخرج الثمار وتنظفها وتضعها في أكياس ، كل ذلك في وقت واحد .

نظرة الى المستقبل

نرى ما هو مستقبل الزراعة الآلية ؟ قطعاً ستستمر . فالإنسان لن يرفض الأسلوب الآلي الذي تتم به الزراعة ، صالما أنه يسهل العمل ويوفر الجهد ويحقق المطلوب بشكل أفضل . ويسد حاجة العالم المتزايدة بسرعة الى الغذاء . غير أن السؤال الحقيقي هو : هل باستطاعة الإنسان أن يتعهد مزارعه آليا دون أن يؤدي ذلك الى اضطراب أو تفكك في المجتمع الذي يعيش فيه ؟ ففي سبب مثلا . كما يعمل حوالي ثلث السكان في الزراعة . كما يعمل فيها أكثر من ٧٠ في المائة من سكان

الشـهـرة

للشاعر طاهر زمخشري

والرجع ما زال قيثاراً لأنحناسي
معنى بفرك .. يا صداحة البان
وان اكمامها حسي ووجداني

على الباعد بين اليوم والثاني
قد راش سهم قضاء منه أذماني
وفي السهاد تضم الطيف عينان
وما شكوت الجوى الا لكتماني
الشوق ضاق به سترأ فأضناني
بها أطيرو .. بآلامي .. وأحزاني
أنفاسها كم روت إحساس ولهان

بالطيب روى نداء الخافق العاني
بعائد الشوق .. والمزار روحان
لولاه ما احتملت نيران أشجاني
وفي رباه .. تغاربي ، وأفناني
ولاهب الشوق مجداني ، وسفاني

شدو ترققه بالنور عينان
وقد سقاني الذي أشجى فأرواني
وفي ملامحه ري لظمان
ورجعها في حنايا القلب تحاني
فقد جرت بدمي المسفوح أجفاني
يرف كالطير مبتلا بهتان

نار يضيق ببلواها أليفان
وما همنا بنيران وسلوان
وأترع الكأس من ناي وحرمان

طاهر زمخشري - جدة

يا زهرة .. غسلت بالعطر أحزاني
يا زهرة .. ما لروض الحسن مبتسماً
يا زهرة .. وريعي ري نظرتيها

ما كنت أحسب أن الدهر يرغمنا
حتى رمى بي الى كف النوى قلدر
ولفني سهاد .. بات يورقني
والوجد عاصفة تغلي به كبدي
فإن أحب بما ألقى فمعدرة
سألتني من حمام الأيك أجنحة
الى رباه .. فلي في الدوح زنبقة

يا زهرة .. شدة لها كان يغمري
وبانيم مع الذكرى مغردة
العطر ما زال يروي كل جراحة
من زهرة .. روضها روجي وخافقي
وما أزال ذا أحقر غلي معلقة

يا زهرة عطرها ، في كل فترقي
قد كنت في القرب أشهى ما كلفت به
وصرت في البعد في رسم أمانق
فأنت أنت وفي الحالين أغنية
فإن سفحت دمي من لوعة عصفنا
وان الخبي .. مقي فاض الحين بسنه

فبتا دموع الشجا .. كفي لما أتدت
فبتا مكنونا قلبي بفري التحول بنا
لكنه قدر أذكى الحزين بنا

المنهج النقدي بين العقاد وأوطى حسين

بقلم الاستاذ محمد أحمد العزب

في حقولنا الفنية والفكرية انبجس صوت العقاد هادرا كالرعد ، وترقرق صوت طه حسين منغمما كموسيقى الطبيعة في بواكير النهار ، حمل طه حسين معزفه وغنى ، وانتضى العقاد سيفه وقاتل ، وتناوبا فيما يشبه الحتمية الكونية سيف الفارس ومعزف الفنان ، بمعنى أن العقاد لم يعيش حياته الفنية لايسا خوذته ، ولم يعيش كذلك طه حسين حياته الفنية مغرد الأوتار ، فلقد خاض طه حسين في آناء من حياته أشرس معارك الفكر والفن . كما هادن العقاد الكون والجماهير آناء من حياته وغنى للفكر المجرد ، والجماليات الميتافيزيقية ، والقضايا ذات المسوح الكلية غير القابلة بطبيعتها لامكانية التطبيق !! ولكن هذا كله لا يحبط قضية أن العقاد عاش حياته بطلا شاهرا سيفه وممتطيا جواده . وأن طه حسين عاش ويعيش حياته رائدا يقتحم الذرى ويرتاد ليل المجاهيل !!

وإذا كنت قد تجاوزت الفنان لأتحدث عن الناقد فيهما معا ، فلأن اسقاط المفاهيم النقدية التي أصّل لها هذان الرائدان بحق على واقعنا الابتكاري والنقدي جميعا هي ما نحن في حاجة لازمة اليه في هذه المرحلة الماثرة من مراحل حياتنا الفكرية .

ومن المفيد أن نبدأ بتحديد ملامح القيم النقدية التي تشكل في نهاية الأمر بناء المنهج النقدي لدى كل من العقاد وطه حسين ، فالعقاد يلخص مقياسه النقدية في هذه الثلاثية :

« أولا : أن الشعر قيمة انسانية وليس بقيمة لسانية » .

« ثانيا : أن القصيدة بنية حية وليست قطعا متناثرة يجمعها اطار واحد » .

« ثالثها : أن الشعر تعبير . وأن الشاعر الذي لا يعبر عن نفسه صانع وليس بذى سليقة انسانية » .

منطلق هذا التحديد النقدي نستطيع أن نستكشف ملامح الحركة النقدية الشاملة التي قادها ودافع من أجلها العقاد .. فحين يؤسس لقضية أن الشعر قيمة انسانية وليس بقيمة لسانية ، انما يؤسس في الواقع لقضية أن الشعر ليس ترفا عائنا في حركة الوجود ، وانما هو صميمي وجذري بما هو أساسا منطق طبائع الأشياء . ان الشاعر حين يدخل مناطق الخلق يحس على الفور أنه يتدامج شيئا فشيئا مع خلايا الكون . وأنه يتسمّع همسات السرّ في الأشياء ، وأنه يتوافق ويتخالف مع كل قوانين الطبيعة ليخلق قوانين أخرى وطبيعة أخرى كذلك ليست

بالضرورة نقيضا لطبيعة الطبيعة ، ولكنها بالضرورة ليست هي الطبيعة !! ان تحديد الشعر بحتمية كونه قيمة انسانية يؤكد في علاقات الجدل بين الشاعر وعالمه كل ما هو متم الى رؤيا الذات الانسانية المناضلة ، لا الى رؤيا ذاكرة وراثية لاقطة تقيء حصاها البائر في لحظة اختناق .. ان العقاد ينطلق في تقرير هذه القضية - قضية انسانية الشعر - من ايمانه الحتمي بأن الشعر هو بوح الكائن الانساني . - حين يؤسس لقضية أن القصيدة

والعقاد بنية حية وليست قطعا متناثرة يجمعها اطار واحد - انما يضرب ضربته ليس في مجال النقد التقييمي وحده ، وانما في مجالات الابتكار الفني والفكري جميعا ، فلقد عانت القصيدة العربية من تمزقات الشكل والمضمون أجيالا وأحقابا ، ولم تستطع أن تستوعب وحدتها الموضوعية في أيّ من هذه الأحقاب والأجيال . كانت تدور في محاور مفرقة لا يكاد يجمع بينها جامع من حس أو رؤيا أو تناغم في شكول المفرقات . كانت رحلتها تبدأ بالغزل . ثم تعطف على المدح ، ثم تنحرف الى الاستجداء ، ثم ترتد الى وصف الأشياء والأحياء ، وهكذا تدور وتصيب المتلقي بالدوار .. وليت كل هذه المحاور التي كانت تتقافز فيها



القصيدة العربية تنتهي في آخر الأمر الى وحدة حتى في عاطفة الشاعر المجدد المرهف أو حتى في خياله المزحوم . ان مأساوية هذه القصيدة كانت تنبع أساسا من كونها عملا بلا تخطيط مسبق ، ذهني .. أو فكري .. أو عاطفي .. أو حتى تلقائي .. انها كانت تولد في فراغات ناضبة من كل حس ، وكانت تنتهي الى فراغات ناضبة من كل تفكير .. وليس هذا بمنسحب على كل الشعر العربي بالطبع . فهناك في هذا التراث الشعري نتوءات عبقرية شامخة الأعراف تجاوزت كل تخوم الزمان والمكان الى حيث عاشت وتعيش في كل العصور.. ولكن هذا لا ينفي أن حركة العقاد كانت مبررة تماما بما هي حركة على بلادة الكل الشامل وليس على فطانة البعض العبقرى .

الوحدة العضوية التي نادى بها العقاد قد أسيء فهمها كثيرا ، ولذلك فقد حاول العقاد غير مرة أن يرستخ مفهومها الحقيقي في الأذهان . لقد نادى العقاد بأن ما يقصده بالوحدة العضوية في القصيدة الشعرية أن تكون « وحدة نفسية شعورية وفكرية » .. « لأن الأسلوب الذي يطلبه قارىء يكتفي بالبيت بعد البيت كأنه شيء مستقل عما قبله وبعده غير الأسلوب الذي يطلبه قارىء يحوجه

البيت الى تذكر ما سبقه وترقب ما بعده .. فهذا لا يستريح تشوفه الابدع الفراغ من القصيدة. ولا يحكم على أسلوبها الا بنسقتها الشامل لأقسامها وأبياتها .. وقد يفني أسلوب الأبيات المفرقة بمطالب نفوس ساذجة تخلو من الخوالج المركبة والنظرات المتعددة والمعارف التي تتناول الاحساس بالتنوع والتحليل » .. وكذلك لأن « القصيدة ينبغي أن تكون عملا فنيا يكمل فيها تصوير خاطر أو خواطر متجانسة » .. ونفى العقاد أن يكون قد قصد من الوحدة العضوية أن تستحيل القصيدة الى أحجار جامدة ، أو الى معادلات رياضية صماء فقال : « اننا لا نريد تعقيا كتعقيب الأقيسة المنطقية ، ولا تقسيما كتقسيم المسائل الرياضية ، وانما نريد أن يشيع الخاطر في القصيدة ولا ينفرد كل بيت بخاطر فتكون بالأشلاء المعلقة أشبه منها بالأعضاء المنسقة » .. ويرجع العقاد مأساوية التمزق في تكتيك البناء العضوي للقصيدة العربية الى اتكال الشعر العربي على الحس فيقول في مقارنة له بين الشعر العربي والشعر الانجليزي : « .. ويدخل في هذا الفرق أيضا دوران الشعر العربي على الحس ودوران الشعر الانجليزي على العطف والخيال ، انك ترى الارتباط قليلا بين معاني القصيدة العربية ،

ولا ترى قصيدة انجليزية تخلو من رابطة تجمع بين أبياتها على موضوع واحد أو موضوعات متساقطة ، ومن هنا كانت وحدة الشعر عندنا البيت ، وكانت وحدته عندهم القصيدة ، فالأبيات العربية طفرة بعد طفرة . والأبيات الانجليزية موجة تدخل موجة ، لا تنفصل من التيار المتسلسل الفيض ، وسبب ذلك كما قدمت هو أن الحس لا يربط بين المعاني وانما يربط بينها التصور والعاطفة والملكة الشاعرة ، فاذا تعود الانسان أن يتصور وأن يعطف وأن يشعر تعود أن يدرك المعاني الواسعة والسوانح النفسية التي تعدد فيها الظلال والجوانب والدرجات ، فيأتي بالفكرة لا يستوعبها البيت ولا يغني فيها الاقتضاب ، واذا هو لم يتعود الا أن ينقل عن الحواس الظاهرة وقف ادراكه على المتفرقات فأغته طفرة البيت عن تماسك الأبيات » .

الوحدة العضوية التي نادى بها العقاد اذن هي دعوة الى صياغة جديدة وفاهمة للقصيدة العربية ، بحيث تصبح القصيدة العربية وجودا شعريا متلاحما ، وليس مجرد أشلاء مزقة تتساند عشوائيا في اطار من القافية الضاغطة والايقاع المجهد والخيال الكسح !! فاذا انتقلنا الى المحور الثالث من المحاور النقدية لدى العقاد وهو : « أن الشعر تعبير

وأن الشاعر الذي لا يعبر عن نفسه صانع وليس
بذئ سليقة إنسانية .. عرفنا على الفور الى
أي مدى تتكامل محاور البناء النقدي التي
يؤسس العقاد لها في أصالة وفهم .. ان الشعر
حين يستحيل الى بوق دعائي ، أو شكل بلاغي ،
أو جمل موسيقية بلا توتر دافق من الأعماق ،
انما يعطي براءة احباطه الفني ، فليس تجدي
حتى نبالة القضية التي تحملها القصيدة ان
كانت القصيدة أساسا قابلة لحمل مثل هذه
القضايا . وليس يجدي التصنيع والتجنيس
والتشبيه والمقاربات البلاغية في القصيدة ،
وليس تجدي الموسيقى حتى ولو استحالت كل
القصيدة الى موسيقى من داخل وخارج معا ..
ليس يجدي كل أولئك على الإطلاق ما لم يوجد
« الشاعر » منذ البدء ، وما لم يحترق هذا الشاعر
بلهب إيمانه بكل ما تحمل قصائده من موسيقى
وبلاغة وقضايا بلا حدود !! ان الشاعر الذي
يغني للجماهير الكادحة وهو مسترخ في برج
عاجي انما يخون قضية الصدق في كلماته ،
انه يقتل كلماته بيديه .. ومن هنا فان حملة
العقاد على هذا النمط من أنماط الابداع المجوف
تبدو حملة هادفة وصميمية وغائرة القرار .
ولقد تفجرت من هذه القضية النقدية-قضية
الصدق الفني-قضية الدعوة الى « الشخصية »
في الشعر يقول العقاد : « الشخصية تعطيك
الطبيعة كما تحسها هي لا كما تنقلها بالسمع
والمجاورة من أفواه الآخرين . وهذه هي الطبيعة
وعليها زيادة جديدة تطلبها أبدا . لأن الحياة والفن
على حد سواء موكلان بطلب « الفرد » الجديد
أو النموذج الحادث ، أو موكلان بطلب
« الخصوص » والامتيان لتعظيمه وتثنيته والوصول
منه الى خصوص بعد خصوص وامتياز بعد
امتياز » . ويقول العقاد كذلك : « وصفوة
القول أن المحك الذي لا يخطئ في نقد الشعر
هو ارجاعه الى مصدره ، فان كان لا يرجع
الى مصدر أعمق من الحواس فذلك شعر القشور
والطلاء ، وان كنت تلمح وراء الحس شعورا
حيا ووجدانا تعود اليه المحسوسات فذلك شعر
الطبع القوي والحقيقة الجوهرية ، وهناك ما
هو أحقر من شعر القشور والطلاء وهو شعر
الحواس الضالة والمدارك الزائفة » .. ويقول :
« الشاعر الذي لا تعرفه بشعره لا يستحق
أن يعرف » !!

هذه هي أبرز المحاور النقدية-على مستوى
شعري - في فكر العقاد ، إنسانية

الشعر .. وعضوية البناء القصيدي .. وصدق
التبليغ عن عالم الذات ..
ولكن للعقاد محاور أخرى نقدية على
مستويات أخرى فنية وفكرية ، لعل من الجدير
هنا أن نقف عندها قليلا ..

فالأدب - كما يرى العقاد - ريادة بالحرية
الى الحرية - يقول العقاد : « وكان
الإنسان قد أراد بالفن أن يتم حرية الحياة ،
فقد أوجد الفن للإنسان أجنحة قبل أن يطير في
الهواء وأنشأ لنا في الشعر أجيالا من الأبطال ،
وجمع في جسم واحد من رشاقة الأعضاء وملاحظة
القسمات ما تفض به الحياة على الكثير
من الأجسام ، وأصبحنا في عالم حرية لا
نصيبها في عالم الحاجة والاضطرار » .. ويقول
أيضا : « في الأدب كل ما في الحياة من حاضر
ومغيب ، ومن فرائض وآمال ، ومن شعور
بالضرورة الى تطلع لحرية المثل العليا » !!
والأدب الفلسفي - كما يرى العقاد - لا
يمكن أن يكون واحدا من اثنين : إما مفكرا
وأما شاعرا .. انه جماع هذين المحورين ..
الفكر والشعور : « الحقيقة أن الفكر والخيال
والعاطفة ضرورية كلها للفلسفة والشعر مع
اختلاف في النسب وتغاير في المقادير ، فلا
نعلم فيلسوفا واحدا حقيقيا بهذا الاسم كان
خلوا من السليقة الشعرية ، ولا شاعرا واحدا
يوصف بالاجادة كان خلوا من الفكر الفلسفي » .
والنقد- كما يرى العقاد- ليس مرورا هشا
على سطوح الأشكال والأعمال وانما هو
إضاءة كل الزوايا ، وتفجير كل الطاقات ..
يقول العقاد في هذا الصدد : « النقد الرفيع
هو ذلك الذي يهتدي الى النماذج في عالم
الآداب والفنون ، وان وظيفته هي احياء كل
نموذج يهتدى اليه بمجاوبته واذكاء فضائله
وشحذ ملكاته ، ولن يكون الناقد على هذه
الصفة الا اذا كان هو نموذجا من الطراز
الممتاز لا من الطراز الدارج المألوف » ولا بد
لناقد أن يتخذ من علم النفس مرتكزا وسلاحا ،
ومن هنا كانت دراسته النفسية لأبي نواس
ودراسته لابن الرومي وحياته « من شعره » ..
والجمال - كما يرى العقاد - قيمة تنأى
بنفسها حتى تلامس عالم الميتافيزيقا بحثا عن
الجميل في ذاته غير متم الى تشابك الواقع
الحقي وجدله الزاخر بالتناقضات !!
وفي الدراسات الأدبية- كما يرى العقاد -
يجب أن نستلهم البيئة لا أن نعكسها ، يجب

ان نقف عندها من حيث بواعثها من نفس
الفنان ، وليس من حيث كونها واقعا ماديا على
الأرض ينبغي أن يستحيل واقعا ماديا على
الورق ..

وهكذا .. وهكذا .. ان رحابة المجال
الذي تحرك فيه فكر العقاد يعطي أروع
المضامين لأروع اقتحام على مستوى فكري
وفني في عصرنا الحاضر .

على الشاطئ الآخر من شاطئ حياتنا
الفكرية والفنية انبعث صوت الرائد
المجدد « طه حسين » ملوئا للعقاد على
شاطئه بما يشبه الراية الحمراء ، بادئين من حركة
تمرد ومتهين الى حركة تمرد كذلك ، مرد
ذلك الى بلادة الواقع النفسي والاجتماعي
والفني والفكري . واذا كان العقاد قد ارتفق
في رحلته أسسه النقدية الثلاثة .. من إنسانية
المضمون .. الى وحدة العمل العضوية .. الى
صدق المنزع التعبيري .. عناصر لمنهج النفسي
والتحليلي جميعا في مواجهة العمل الفني والفكري ..
فان طه حسين قد ارتفق في رحلته هو الآخر
أساسا نقدية ثلاثة في مواجهة العمل الفكري
والفني كأنما كانا على موعد حتى في حساب
الأرقام والأحجام !!

وقبل أن نحدد هذه الأسس النقدية التي
ارتفقها طه حسين في رحلته النقدية الشجاعة ،
لا بد من الإشارة الخاطفة الى ملامح الواقع
النقدي في الفترة السابقة على الحلول النقدي
لهذا الرائد الجليل .. كان هناك تيار يقوده
الشيخ سيد المرصفي صاحب « الوسيلة الأدبية » ..
وكان هذا التيار ينحو بالنقد الى منزع اللغويين
والنقاد من قداماء المسلمين .. وكان هناك
تيار تقوده الجامعة المصرية التي استقطبت
في هذه المرحلة طائفة من الأساتذة المستشرقين ،
وكان هذا التيار ينزع بالنقد الى ما يمكن أن
يسمى بالنقد الشمولي من حيث كونه نقدا
يتكى في فهمه للعمل وتقييمه للفنان ليس على
مجرد مجموعة من قصائد الشعر ولا على طائفة
من حياة الشاعر ، وانما على احاطة شاملة
باللغة والفن والفلسفة والتاريخ والأدب والمعجم
وعلم النفس ومناهج البحث ، وما كتبه الأوربيون
في لغاتهم المختلفة عما للعرب من أدب وفلسفة
ومن حضارة ودين . وكان هناك تيار نشأ بين
هذين مشوها مختلطا كما يقول طه حسين .
وهو مذهب العامة من أساتذة الآداب في
مدارس مصر .. وكان هذا التيار يتجه نحو

السطحية ، فهو لا يتعمق في القضايا على نحو فلسفي ، وهو لا يحيط بها على نحو مستحدث ، وإنما يضرب في « المابين » عاجزا عن الأصالة وقاصرا عن التجديد !!

كان هذا هو المناخ النقدي والأدبي في مصر في مرحلة ما قبل طه حسين ، فلما استوى للرائد أن يقول فيسمع ، أطلق صحبته العامة بأن هذا الواقع الفكري والفني لا يمكن أن يكون واقعا صحيا ، وخاض معركته الرهيبة داعيا الى افتتاح ثقافي بغير حدود ، انفتاح على الماضي العالمي كله ، وعلى الحاضر العالمي كله ، ليس على مستوى شعري ونقدي فحسب ، وإنما على كل المستويات المأمولة والمستطاعة ، حتى يمكن لنا في النهاية أن نصل الى صياغة الناقد الحقيقي ، والفنان الحقيقي كذلك .

وبدا طه حسين رحلته المرية على طريق التأصيل للنقد ، فحدد مفهوم الأدب ، ونزل به من آفاق التجريد الى أرض الواقع الجدلي ، فالأدب كما يراه طه حسين « خاضع لكل ما تخضع له الآثار الفنية من تأثير بالبيئة والجماعة والزمان وما الى ذلك من المؤثرات الأخرى ومن تأثير في هذه المؤثرات أيضا ، هو مرآة لنفس صاحبه ، وهو مرآة لعصره وبيئته كلما عظم حفظه من الجودة والاتقان ، وهو بحكم هذا متغير متطور قابل للتجديد .. »

ومع تلك المقاييس المحددة التي قررها طه حسين ، استعرض في هذا المجال منهج « سانت بيغ » الذي يبحث من خلال النص عن الشاعر وأعماله ، مترقيا من الفرد الى النوع ، من الجزئي الى الكلي ، ومنهج « تين » الذي يبحث من خلال النص عن الفنان ليس من حيث هو ذات مشخصة وإنما من حيث هو أثر من آثار العصر والبيئة والجنس .. ومنهج « بروتير » الذي يخضع النص لعملية التشو والارتقاء .. كيف ؟ ومن أين ؟ وإلى أين ؟ ومتى ؟ الى آخر ما يطرح من أسئلة في هذا المجال ..

ويعقب الدكتور طه حسين على ذلك كله بأن الناقد الحقيقي ينبغي له ألا يقف عند واحد من هذه الأنواع . وإنما ينبغي له أن يوفق بينها جميعا . وأن يستقطب في عملية النقد عصر الفنان وبيئته وفنه وشخصيته كذلك ، ويضع طه حسين منهجه النقدي أو قل ملامح منهجه النقدي في هذه السطور :

يقول : « إلام تقصد اذا عرضت لشاعر من الشعراء وأردت أن تقرأ شعره وتفهمه ثم تنقده ؟ تقصد فيما أظن الى أشياء :

الأول : أن تصل الى شخصية الشاعر فتفهمها وتحيط بدقائق نفسه ما استطعت ، فتعرف كيف أحس ما أحس . وكيف شعر بما شعر به ، ثم كيف وصف احساسه وأعرب عن شعوره .

والثاني : أن تتخذ هذه الشخصية وما يؤلفها من عواطف وميول وأهواء وسيلة الى فهم العصر الذي عاش فيه الشاعر ، والبيئة التي خضع لها هذا الشاعر ، والعنسية التي نجم منها هذا الشاعر ، فأنت لا تقصد الى فهم الشاعر لنفسه وإنما تقصد الى فهم الشاعر من حيث هو صورة من صور الجماعة التي يعيش فيها .

وهنا شيء ثالث تقصد اليه حين تقرأ الشعر وتحاول نقده وهو اللذة .. اللذة الفنية .. اللذة التي تجدها اذا نظرت الى شكل جميل أو استمعت الى قطعة من الموسيقى أو خضعت لمظهر من مظاهر الطبيعة الأخاذة .

حين هذا التحديد النقدي يلوح للدارس أن طه حسين يرجع في تقييمه للفن الى أساسين : الأساس الموضوعي القائم على نقرس ملامح النص وفهمه واستكناه حقائقه ودلالاته وأبعاده . والوقوف الفاهم على نوعية الظروف البيئية والعصرية والجنسية التي أحاطت بهذا النص وألمته وأثرت فيه .. والأساس التاريخي القائم على محاولة استكشاف موضع هذا النص في خريطة الواقع الابتكاري ، مستعينا في هذا الصدد بكل ما حققته الانسانية من ثمار في شتى المجالات وعبر كل العصور . واذا كانت القيمة الحقيقية لطه حسين تنبع أساسا من مغامرته الرائعة في مواجهة « العرف النقدي السائد » على الأقل فيما يتصل بقضية الشعر الجاهلي ، واعتماده المنهج العقلي في معالجته كل القضايا ومواجهة كل البراهين ، فان قيمته الحقيقية كذلك تنبع بالضرورة من حركة كونه ناقدًا على مستوى موضوعي أو قل على مستوى علمي .

ولقد أصل طه حسين للاتجاه الجمالي الذوقي في النقد ، وللالتزام الحر النابع أساسا من حركة الفنان الذاتية في اتجاه قضية موضوع الالتزام ، وللايمان في النقد بالعقل الى جوار الذوق والامتلاك التاريخي للنص ، وللافتتاح

القابل على الرأي النقيض مهما اتسعت الشقة بينهما .. وهو في كل أولئك جميعا يتبع منهجا لا يحيد عنه ، وأسلوبا لا يقبل التفریط فيه .. ان منهجه وأسلوبه في كل أولئك جميعا أن يستعرض كل الآراء والاتجاهات ، ثم يخلص هو في النهاية الى رأي قد يكون وسطا وقد يكون مغايرا وقد يكون نقيضا ، ولكنه رأي هو لا رأي الآخرين . مثلا حين يتصدى للحديث عن موقف المعاصرين من الشعر العربي يعرض لآراء كل الفرقاء ، ثم يلقي بكلماته في النهاية على هذا النحو :

« خلاصة القول أن لكل شعر جيد ناحيتين مختلفتين ، فهو من ناحية مظهر من مظاهر الجمال الفني المطلق ، وهو من هذه الناحية موجه الى الناس جميعا مؤثرا في الناس جميعا ، ولكن بشرط أن يعدلوا لفهمه وتذوقه . وهو من ناحية أخرى مرآة تمثل في قوة أو ضعف شخصية الشاعر وبيئته وعصره ، وهو من هذه الناحية متصل بزمانه ومكانه ، ولو قد خلا الشعر من إحدى هاتين الخاصيتين لما كانت له قيمة حقيقية ، فهو بخاصيته الأولى مظهر ، كما قلنا ، من مظاهر الجمال الذي تطمح اليه الانسانية كلها ، وهو بهذا صلة قوية بين الشعوب والأجناس مهما تختلف عصورها وبيئاتها . وهو من الناحية الأخرى مصدر من أصدق مصادر التاريخ اذا عرفنا كيف نقرأه ونفهمه ونخضعه لمناهج البحث العلمي ، فهو يصور لنا حياة الأفراد والجماعات في أزمنتها وأمكناتها المختلفة ، وهو بهذا يمكننا من الموازنة والمقارنة واستخلاص ما يجمع بين الناس من صلة وما يفصل بينهم من فروق . »

على هذا النحو يمضي طه حسين في صوغ نتائجه وقضاياها دالا في كل خطوة من خطواته على أصالة واعية ، واستقلال متفرد ، واقتحام جريء !!

ان مواقف طه حسين الأدبية والفكرية لم تقتصر على ذلك فحسب ، بل تصدى للواقعيين ، فدعا الى أدب حقيقي لا ينحدر باسم الواقعية أو غيرها من المسميات الى منشور دعائي أو الى وصف تسجيلي ، وأصر على أن يقف الأدب في اطاره الحقيقي ، معبرا عن كل فئات الواقع الجدلي ، ولكن من خلال هويته الفنية وليس من خلال حركته التسجيلية المعرلة لوجود أي من الآداب !!

محمد أحمد العزب - القاهرة

السَّمْعَانِيَّة

بقلم الأستاذ عبد المظي المسيري

— حمادة ، حمادة .

....

— حمادة ، قم ، قم يا حمادة .

ويتحرك حمادة ببطء وحذر حتى لا تؤذي حركته ذلك الطفل الصغير الذي يقاسمه فراشه ، ثم يعود فيغط ثانية في النوم ، ولكن اليد التي تهزه تمتد ثانية الى كتفه على نحو يحس أن وقعها في نفسه يختلف باختلاف الحال التي تكون عليها أعصابه ، فهو تارة يضيق بها وطورا يطمئن اليها . وهو في هذه المرة أقرب الى السخط منه الى الرضى ، لأنه لم يأخذ حظه من النوم كما ينبغي فقد رجع من عمله بعد انتصاف الليل ، وكانت الليلة شديدة البرودة ، وكانت الريح تعصف بقسوة جعلته لا يتلقف أنفاسه الا بكثير من العناء .

الريح بعض الشيء فشرع
يتنفس تنفسا عميقا أزاح عن صدره ما ثقل عليه . وسبقه خياله الى بيته ، فأخذ يفكر في غرفته الدافئة التي تشيع فيها الحرارة المنبعثة من أنفاس عديدة ! يستطيع أن يعرف عدد آدميين : ثلاثة أولاد وامرأة .. أما المخلوقات الأخرى فليس الى حصرها من سبيل ، فهي تتألف من حيوانات وطيور مختلفة ، كالكتاكيت ، وصغار البط ، وما الى ذلك وهي تظل تجري وتوثب ، وتكر وتفر ، طول النهار ، حتى تضيق بها جوانب الدار ، فاذا جن الليل ، كفت عن الحركة ، وأخذت تحتل امكنتها فتقع الكتاكيت بتلك الرقعة الصغيرة التي يشغلها صندوقها تحت السرير ، ويأوي البط الى قفصه تحت النافذة .. ويسكن الحمام الى منزله الخشبي فوق دولااب الكتب !

ونخيل لحمادة أنه كان يصغي الى أصوات هذه المخلوقات التي كان ينقر منها ، ثم عاد فراض نفسه على الصبر والاحتمال .. وانتقل من التفكير في ذلك الى جانب آخر من الحجرة حيث تربض منضدة استطاع أن يحيلها الى شبه مكتب .. مكتبه الذي يأنس به فيشعر عند جلوسه اليه أنه أزاح عن نفسه عبئا ثقيلا كان ينوء به .. وراح يعيد الى خاطره لذة



تلك الساعات الحلوة التي قضاهما بجوار المكتب بجسمه ، بينما روحه تحلق في أنحاء مختلفة وعصور متفاوتة . ثم جعل يسترجع تلك اللحظات اللذيذة التي كان يحس فيها بأن كائنا آخر يعيش في أعماقه قد انطلق به الى عوالم أخرى ذات رؤى خلافة .

وانتهى الى البيت فطرق الباب ، ثم أعاد يده الى جيبه ليقبها البرد ، وكان لتوقه عن المشي أثر في شعوره بشدة البرد فتوهم أن زوجه أبطأت ، فعزم على تأنيبها ، ولكن سرعان ما التمس لها عند نفسه العذر .. لماذا لا يجعل للباب مفتاحا حتى لا ينتظر ، ثم لا يزعج المرأة في مثل هذا الوقت ، وهذا الجو ؟

س الباب ، ودلف حمادة الى صحن الدار ، والمرأة تتبعه في صمت لا يشوبه الا صوت أسنانها المصطكة .

واحتوتهما الحجرة فشغلت المرأة بتهيئة مصباح الغاز على نحو يتيح له القراءة ، وأخذ هو يبدل ملابسه ، ثم دار ببصره في زوايا الحجرة ، واستقر به نحو الفراش .

وقطعت المرأة حبل الصمت بصوتها الذي يميزه البرد بفئة يطرب لها حمادة ..

قالت وكأنها تتساءل :

— الدنيا برد ؟

فلم يزد صاحبنا على ترديد تلك « الحاءات » التي اعتدنا أن نعبى بها عن شعورنا بالبرد . وشجعها ما يديه من تأثر بالبرد ، فعرضت عليه أن يقرأ في الفراش . وراق له هذا الرأي ، فصعد الى السرير وتمدد في حذر حتى لا تلمس أطرافه الباردة ذلك الصغير العزيز الذي يغط في نومه ، ولم يطاوع هزة التأثر التي اعترته أثر رؤيته وجه الطفل ، والتي كانت تلح عليه في تقبيله .. لم يطاوع رغبته خوفا من استيقاظ الطفل ، لأنه يريد أن يقرأ ، واستيقاظ الطفل يفسد عليه الأمر ، ثم هو يريد شيئا آخر يؤثره على القراءة وعلى الأشياء جميعا ، يريد أن يطيل النظر الى وجه الصغير وهو غارق في نومه لينعم بمشاهدة تلك البراءة السمحة ، وليعني بمراقبة شفثيه وهما تزمان وكأنه يبكي ، وتنفرجان ،

وكأنه يتنسم ، تلك الحركات اللطيفة التي تصور بصدق قسما الوجه في حالتي الخوف والاطمئنان .

• • •

بينما كانت المرأة تعنى بنقل المصباح وتعالج تثبيته على مسمار طويل بجانب السرير كان حمادة يعث بيديه تحت طيات الفراش ليتخير كتابا من هذه الكتب التي يؤثرها والتي يحتال للحصول عليها بشئ الطرق ، ومختلف الوسائل بحيث لا يعيقه عن قراءتها عائق ، ولا يقف في طريقه اليها حائل .

ح السكون على الغرفة حيث استسلم الجميع للنوم ، ومضى حمادة في قراءته ، وكان قد نظر في الساعة التي لا تفارق معصمه فوجدها الثانية والنصف ، فعزم على أن لا يقطع في القراءة أكثر من نصف ساعة حتى يتنهض نشطا ، ولينجنب لوم الطبيب الذي حتم عليه أن يقتصد في القراءة ، وخاصة اذا كان راقدًا ، حتى لا يضعف ألم عينيه . ولكن تلك الصور الرائعة التي تفنن « اندريه جيد » في عرضها في كتابه الانساني « السمفونية الريفية » انسته نصائح الطبيب وصرفته عن النظر مرة أخرى الى الساعة .

وهل يملك أن يفكر في شيء آخر وهو يشاهد أبطال « جيد » وهم يلعبون بمهارة ، ويمثلون المشاعر المختلفة بدقة وبراعة ، كما تتفنن الطبيعة في اسباغ الألوان المتنوعة على الزهور والثمار ؟

هل يملك وقد التقى بالفتاة « جرترود » التي منيت بفقد بصرها ، والتي يلح عليها الكثير من العلل والأمراض أن يشغل بشيء آخر عن تتبعها وهي تتقدم نحو الكمال فتشغف أمامها الأشياء وترى ببصيرتها ما يعجز عنه المصورون ؟ يا لله ! من عهد بعيد لم يسعد حمادة بقراءة شيء له من السلطان عليه مثل ما لهذا الكتاب . كان أول أمره يقرأ كثيرا ويتأمل قليلا فكان لضيق أفقه ينعم بما لكثير من الكتاب من أفق ضيق محدود ، فلما استقام له أن يقرأ الحياة راعه الفرق العظيم بين ما فيها وما في الكثير من الكتب ، فأفقدته ذلك ما كان بينه وبين ما يقرأ من تجاوب .

ولم تكن له حيلة في الافلاع عن الاطلاع ، فكان يقرأ ليجمع الحسرة الى الحسرة ، والخيبة الى الخيبة ، ولم تعد عيناه تفتحان الا على ساحة عريضة من الحيرة والاضطراب .

وظل أسير تلك الحيرة زمنا طويلا الى أن اعترض طريقه « جيد » فأعادت اليه « السمفونية » نعيمه المفقود ... نعيم التجاوب بين القارئ وما يقرأ . كما أعادت اليه شعوره بالنشوة والسعة والامتلاء ، فكان لفرط إعجابه بالكتاب ، يتحسر على كل صفحة يطويها ويود لو يطيل عندها الوقوف متأملا فيما يرى من جلال وجمال ، ولكن ايمانه بعقيدة « جيد » كان يضاعف أمله في الصفحة التي تليها الى أن انتهى الى ذلك المكان البديع الذي يقع في طرف الغابة ، والذي وصفته « جرترود » وصفا دقيقا وصورته تصويرا رائعا بقولها :

« تقوم من خلفنا ومن حولنا ، وفوق مستوى رؤوسنا أشجار التنوب الهائلة ذات الطعم المائل الى الصنوبر والسيقان الضاربة الى حمرة الرمان ، والأغصان الطويلة الأفقية السمراء التي تتن كلبا هب عليها الهواء وثناها . وينبسط أمامنا ، ككتاب مفتوح ، المرعى الفسيح المخضوض اللون ، الذي تكسبه الظلال زرقة حين تخيم ، والشمس صفرة حين تبرز . وكلمات هذا الكتاب الجلية البارزة هي أزهار من « كف الذئب » و « شقائق النعمان » ، و « كف السبع » و « زنباق سليمان » .. وفي نهاية الكتاب أرى نهرا كبيرا كأنه من لبن تكسوه غلالة رقيقة من البخار والضباب يغطي هوة هائلة من الأسرار الغامضة ، وليس له من شاطئ آخر غير جبال الألب الفتانة » .

الى هنا وأغمض حمادة عينيه ، ووضع الكتاب على وجهه وراح يتمثل هذا المكان الرائع وكأنه يعيش فيه .

س ينتبه ، ولم يرجع من رحلته الخيالية تلك ، الا عند سماعه صوت مؤذن الفجر وهو يقول : « الله أكبر .. » وصوت زوجه وهي تصيح به :

— قم يا حمادة .. قم !

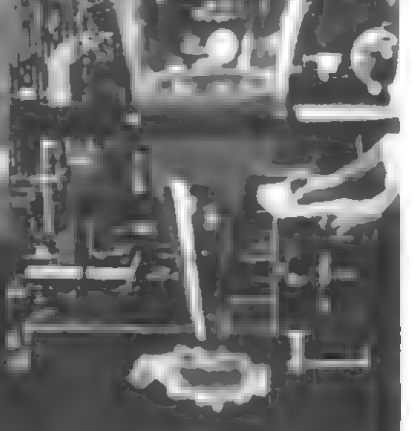
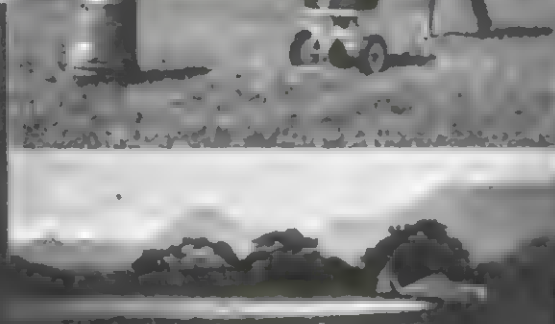
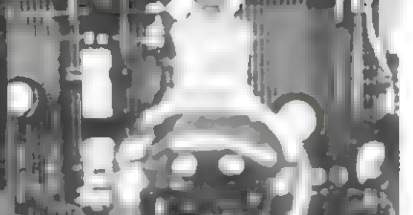


احراق ناقلات البترول الضخمة أثناء شحنها
بالزيت الخام من ميناء رأس تنورة البحرية



فيها الحكمة

يَحْتَلُّ البَحْرُوكُ اليومَ مركزَ الصدارة في جميع انحاء المعمورة كمنبوع هائل للطاقة، فقلبه يتنوم
سُرُوحَ الحشائشِ شامخة، ووجهه يحلق الإنسان سحابةً لما راوده عند ما وطئت قدماء سطح القمر. ولما استعمل
الإنسانُ القنابلَ في المراحلِ الأولى، فهو اليومَ يستعملُ في مشاريعه سُبْحَى بفضل التقدم العلمي والتكنولوجيا في مجال
تصنيع المدرعات من مستلزمات الزيت في تعامل المراكيز. وتستعمل الآلاف البشريات من طريق الصناعات البتروكيميائية





أحد مرافق معمل التكرير في رأس تنورة حيث يتم تصنيع أنواع مختلفة من الوقود .

لتقذف فوق أسوار المدن المحاصرة ، شأن « النار الاغريقية » التي استعملها البيزنطيون في الدفاع عن القسطنطينية .
وعرف العرب البترول باسم « النفط » منذ القدم ، فكانوا يطلون به الابل للجرب والدبر والقردان ، يستدل على ذلك من قول امرئ القيس :

كعيران رملي في معاريب ابياء
والمنهومة هي الناقة التي تطلّى بالقطران . وذكر « أبو عبيد » اللغوي النفط على أنه عامة القطران . والنقطة هي الموضع الذي يستخرج منه النفط . واشتق منه الفعل « نفط » بمعنى استشاط غضبا ، والقدر « تنفط » اذا غلت وتيجست . أما عيد الصمد بن المعدل أحد شعراء العصر العباسي فقد ذكره في

ورصف الطرق واثارة المعابد . ويعتقد المؤرخون أن المادة التي ورد ذكرها في الكتب المقدسة على أنها استعملت في بناء برج بابل ، وسفينة نوح ، وثابوت موسى عليه السلام لم تكن سوى بتومين « اسفلت » طبيعي جلب من مواضع رشوحه . واستعمل المصريون القدماء البترول في تحنيط الموتى ، وغمس أحزمة المومياء في القار لكيلا تبل . أما اليونان فقد استعملوه في طلاء عجلات العربات . واستخدمه الملك « نبوخذ نصر » في تعبيد طرق بابل وطلاء شرفات الحدائق المعلقة التي بناها لملكته « اميها » وهي أميرة من ميديا ، لكيلا توحشها روابي بلادها الخضراء اذا ما أقامت في أرض بابل المنبسطة . هذا وقد استعمل بعض القدماء البترول كدواء يشربونه ويدهنون به الجروح ، ومن هنا ورد اسمه في بعض المصنفات التاريخية باسم « بلسم الأرض » . وأثناء الحرب كانت أطراف السهام تغمس به وتشعل

مصابيح علاء الدين السحري الذي كان رهن اشارته وطوع أمره ، يدعو فيلبي النداء ويأمره فيستجيب ، ويحقق له ما تهفو اليه نفسه من رغبات ومطالب كانت في حد ذاتها أضغاث أحلام تفتقت عنها مخيلات قصاص الأطفال وناسجو الأساطير ، ذلك المصباح قد تجسد اليوم في البترول ، خادم الانسان ، الذي حقق له في القرن العشرين من منجزات رائعة ومواد كمالية تتضاءل أمامها أحلام علاء الدين وأوهامه .

البترول في الحضارة القديمة

تعود معرفة الانسان بالزيت الى آلاف السنين ، فقد حصل عليه من المنافذ والشقوق الأرضية حيث تسرب عبرها الى السطح ، وتجمع في رقاع صغيرة . وتشير الدلائل والنصوص التاريخية القديمة على أن سكان مصر والعراق وبلاد فارس استخدموا البترول في تشييد الأبنية

عتاب صديق له لتعالیه وتكبره عندما أصبح ناظراً لعين من عيون النفط . وفي هذا دليل واضح على أهمية النفط في ذلك الحين ، رغم الأغراض المحدودة التي كان يستعمل فيها .

تفصيل التكرير في صناعة البترول

كان النصف الثاني من القرن التاسع عشر هو بداية صناعة البترول الحديثة ، إذ أخذت هذه الصناعة تتبلور وتزداد مع الأيام أهمية ، سيما وقد شهد ذلك القرن ظهور الآلة ، التي أحدثت تطوراً هائلاً ، لم يشهد له العالم مثيلاً . فكان البترول هو عصب تلك الآلة والمسير لها ، بل هو شريان الصناعة الحديثة .

وتلعب معامل التكرير دوراً بارزاً في تصنيع المنتجات البترولية التي تتطلبها المحركات والآلات على اختلاف أنواعها . وقد مرت عمليات التكرير بمراحل تطويرية متعددة ، وطراً عليها من التحسينات ما جعلها تسير التقدم الصناعي والتكنولوجي في أدق مظاهره وأبعاده . ولعل من الطريف أن نذكر أن «الكروسين» كان أهم صنف من منتجات الزيت في فجر الصناعة البترولية ، فكان الهدف الرئيسي من التكرير آنذاك هو أن يستخرج من الزيت الخام أكبر قدر ممكن من الكروسين بوصفه زيت الاضاءة . أما البنزين فكان يحرق

أو يطرح بعيداً باعتباره شيئاً غير مرغوب فيه ، وكان البتومين يعتبر شيئاً مزعجاً لا نفع منه . بيد أن اختراع محرك الاحتراق الداخلي قلب الوضع رأساً على عقب إذ فتح للبنزين باباً واسعاً يستعمل فيه ، فأصبح عندها من المنتجات الرئيسية ، وأخذ الطلب يتزايد عليه بشكل كبير . بالإضافة الى زيوت الوقود ومواد التزييت والتشحيم والاسفلت . ولتأمين حاجة السوق الى البنزين راحت شركات الزيت ومن بينها شركة الزيت العربية الأمريكية «أرامكو» تنتج أكثر من نوع واحد من البنزين لمجاراة التقدم الفني الذي يطرأ على محركات الاحتراق الداخلي والرحوي . ويخضع تصنيع أصناف البنزين الى عمليات مزج وتركيب تتسم بدقة متناهية توازي دقة تركيب الساعات السويسرية أو تركيب غذاء طفل رضيع . ويعالج البنزين بمواد كيميائية من شأنها منع الصدأ من التراكم في جهاز الوقود في السيارة ، وحفظ الصمامات والمكربن خالية من الترسبات الضارة ، وتخفيض غازات العادم التي تسبب تلوث الجو . كما وأن أصناف البنزين تمزج بطريقة يراعى فيها المنطقة التي ستستعمل فيها ، بحيث توفر للسائق الراحة والسهولة في التشغيل أئى ومتى ساق سيارته .

أما محركات ديزل فتستخدم أنواعاً متعددة من الوقود تبدأ من المقطرات الخفيفة حتى زيوت الوقود الثقيلة ، تبعاً لاختلاف أنواع المحركات التي تستعمل فيها . فزيت الديزل الذي يرش داخل غرفة الاحتراق يشتعل تلقائياً تحت ضغط عال ودرجة حرارة تصل أحياناً الى ألف درجة فارنهایت . ولما كانت محركات ديزل تخلو من المكربنات وصمامات الاشعال فإن «محاقن الوقود - Fuel Injectors» فيها ، تكون عرضة للتلف من جراء ما يتراكم عليها من الصدأ والترسبات المعدنية اللزجة التي تحتويها زيوت الوقود . ولذا تلجأ معامل التكرير في تصنيع زيوت الوقود الى اضافة بعض الكيماويات اليها للحد من تراكم المواد الملوثة . وفي عالم الطيران أدى ظهور الطائرات الطوربيئية الى أن يعود الكيروسين ليحتل مكانة مرموقة بين زيوت الوقود . وجدير بالذكر أن شركة «ستاندرد أوف كاليفورنيا» وهي إحدى الشركات المشاركة في ملكية شركة الزيت العربية الأمريكية «أرامكو» ، كانت الشركة الرائدة في انتاج البنزين الذي استخدم في رحلة الطيران التاريخية التي قام بها «لندبرغ» من نيويورك الى باريس عام ١٩٢٧ ، كما كان للشركة ذاتها قصب السبق عندما انتجت الوقود النفاث ذو الأساس الكيروسيني لأول طائرة

السيارات تزود بالبنزين من إحدى محطات الخدمة في مدينة الخبر بالملكة العربية السعودية .





مخترات الزيت تساعد على تحسين
نوعية الوليد لمختلف أنواع الآلات .



أحدى الطائرات النفاثة تزود بالوقود في مطار الظهران الدولي .



يدخل الزيت في صناعة مواد
تقليم الأديب .



قاطرات السكة الحديد في المملكة العربية السعودية تقطع الغياض بفضل الوقود البترولي.



في مصنع شركة الأسمدة العربية السعودية « سافكو »
تتم عملية تحويل الغاز الطبيعي الى سماد اليوريا .





نفائفة عام ١٩٤٢ . وتخضع أنواع الكيروسين المستعمل في الطائرات لمراقبة شديدة لتأتي مطابقة لمواصفات دقيقة تتطلبها المحركات الطوربينية النفائفة .

ومن المنتجات البترولية التي تحظى بعناية فائقة مواد التزيت والتشحيم ، نظرا للحاجة الملحة اليها . فهي تحول دون احتكاك السطوح المتحركة بعضها ببعض لتسهيل الحركة . كما أنها تمتص الحرارة المتولدة عن الأجزاء المتحركة وبالتالي تطيل عمرها . ففي العصور القديمة كانت عجلات العربات التي تجرها الجياد تشحم بالودك الحيواني ، أما اليوم مع ازدياد استهلاك مواد التشحيم والتزيت فان البترول يعتبر المصدر الرئيسي لها . ولم يعد استعمال مواد التزيت والتشحيم مقتصرًا على درء الحرارة والبلل السريع لأجزاء المحرك ، بل التكيف مع التقلب المفاجئ في درجات الحرارة والضغط الجوي ، وبذلك تحول دون تسرب الرطوبة والغاز الى داخل المحرك لتبقى الأجزاء المتحركة نظيفة وبمنأى عن التآكل . ولكي ندرك مدى أهمية زيت المحرك وقدرته على منع الاحتكاك وتولد الحرارة ، لنا أن نتصور أن طبقة الزيت اللاصقة بجدار أسطوانة المحرك والتي يبلغ سمكها واحد على ألف من البوصة قادرة على منع الاحتكاك بفعالية عالية بين المكابس و سطوح الارتكاز والأجزاء الأخرى التي تتحرك بسرعة فائقة حتى في المناطق الحارة . ولهذا يجرى اعداد زيوت المحركات وفقا لصيغ غاية في الدقة والانتقان لتضمن سهولة التشغيل عندما يكون المحرك باردا ، ومردودا حسنا بالنسبة للتعويض « الميلي - Mileage » عندما يكون المحرك ساخنا .

أما زيت التشحيم فهو في واقع الأمر زيت منتشر في صابون أو مادة هلامية صلصالية تنطلق عند الحاجة الى مقاومة الاحتكاك . وبعض زيوت التشحيم على جانب من الصلابة حتى ليصعب قطعها بالسكين ، وبعضها على جانب من الطراوة حتى ليزوب في درجة الحرارة العادية . وهذه الشحوم يجري تصنيعها بمواصفات مختلفة لتناسب الأغراض التي تستعمل فيها .

ومن المنتجات البترولية التي تدخل في صنع مواد كثيرة نستعملها في حياتنا اليومية الزيوت البيضاء النقية . فالخباز يستعملها في دهن صواني الخبز ، كما تؤلف الزيوت البيضاء عنصرا أساسيا في كثير من العقاقير الطبية ومستحضرات التجميل .

ومن المنتجات البترولية الأخرى التي تدخل البيوت في أيام الشتاء القارس البرد زيوت التدفئة . وهي عدا عن استعمالها في أغراض التدفئة تستعمل في أعمال الطهو . وقد شاع استعمالها خاصة بعد استحداث المواقد المتقنة الصنع حيث يتبخر الزيت فيها ويحترق احتراقا كاملا لا يتخلف عنه سناج ولا ينطلق منه دخان . ناهيك عن المذيبات والمخففات والشموع التي تدخل في صنع مواد التلميع والصقل والمواد الدبقة . هذا بالإضافة الى البتومين « الاسفلت » الذي يستعمل على نطاق واسع في جميع أنحاء العالم في انشاء الطرق ومدرجات المطارات وفي المباني وتغليف الأنابيب وما شابه ذلك .

المنتجات البترولية

ان المنتجات البترولية الآتية الذكر أمكن الحصول عليها بتكرير الزيت وفصل عناصره الرئيسية بطريقة التقطير المعروفة ، مع اعتماد مبدأ التفاوت في درجات الغليان ودرجات التكثف ، واستخدام الوسيط الكيميائي وغيره . ثم تخضع هذه المنتجات بعد فصل بعضها عن بعض الى عمليات مختلفة لمعالجتها وتحسينها . ولم يقف العلماء والكيميائيون عند تلك المنتجات ، بل عمدوا الى التركيب الذري للمادة الهيدروكربونية التي يتألف منها الزيت والغاز الطبيعي فعالجوها بالتكسير حينًا والموائفة بين ذراتها حينًا آخر لصنع مركبات كيميائية تعد بالآلاف . وهذا ما يعرف بالصناعة البتروكيميائية ، وهي صناعة حديثة المنشأ نسبيا ، الا أنها أخذت تتطور بسرعة هائلة في العقدين الأخيرين لدرجة أن العلماء لا يستطيعون التكهن بأبعادها وبما ستؤول اليه . ويتعذر على المرء أن يعدد منتجات الصناعة البتروكيميائية لكثرتها ، فمنها على سبيل المثال لا الحصر الأسمدة ، ومبيدات الآفات الزراعية ، والمذيبات ، والمنظفات ، واللدائن ، والأدوية والدهانات ومواد الصيدلة ، ومستحضرات التجميل وحبر المطابع ، وخيوط النسيج الاصطناعية ، والمطاط الاصطناعي وسلسلة طويلة من الكيمائيات التي تستخدم في أغراض متعددة . ولعلنا بعد ذلك ندرك ما يحتويه برميل الزيت الخام من منافع جمة ، حققها للانسانية التقدم العلمي والتكنولوجي في جميع الميادين ■

سليمان نصرالله

البشرية من المفطرب بن العميد والفراغ

بقلم الدكتور زكريا ابراهيم

يشيع ما لدى الانسان من «قوة ارادة»، فهو بهذا المعنى—مظهر من أسمى مظاهر النشاط البشري، ما دام من شأنه أن يشيع منهم الارادة البشرية في سعيها المستمر نحو المزيد من الشعور بالقوة !

أما بعض الباحثين فيربط مبدأ «العمل» بفكرة «الغاية»، فقالوا أن من بعض أفضل «العمل» على الانسان أنه يوفّر له هذا الشعور بالقصد أو «الغاية». ويزعم بعض هؤلاء، أنه ليس المهم هو نوع «الهدف» الذي يعمل الانسان على بلوغه، بل المهم هو الطموح نحو هذا الهدف، كائنًا ما كان ! وهم يعنون بذلك أن للنشاط الغائي—في حد ذاته—قيمة نفسية كبرى، لأن من شأن هذا النشاط أن يحقق الترابط بين الأفعال والانفعالات، كما أنه يعمل في الوقت نفسه على ربط مبدأ «الجهد» بفكرة «السعادة». ولا شك أن العلماء والمخترعين والفنانين وغيرهم من أصناف «العاملين»، لم يكونوا يرون في «العمل» مجرد «جهد» يعانون فيه الكثير من مظاهر التعب والنصب والاعياء، بل هم قد كانوا يجدون فيه أيضا «متعة»، تقتن بال الكثير من مظاهر الغبطة والفرح والسعادة. وهذا هو السرّ في اقتران «العمل» في نظر كبار العلماء والمخترعين والفنانين المعاصرين—بمعاني الارادة، والاصرار، والغاية، والجهد البطولي وهلم جرا. أجل، فإن أمثال هؤلاء العاملين المبدعين لا يرون في «العمل» ظاهرة ثانوية أو نشاطا هامشيا، بل هم يعدّونه «جهدا بناء» يقومون عن طريقه بتحديد «نسق» حياتهم. ومعنى هذا أن العمل حين يكتب طابعا بطوليا، فإنه يصبح عندئذ مساوقا للحياة نفسها، وكأن كل حياة الرجل العامل قد أصبحت بمثابة «مغامرة كبرى» واحدة ! وليس يعنينا—في هذا المقام—أن ندخل في تفاصيل «فلسفة العمل»، وإنما حسينا أن نقول أن الانسان المعاصر قد أصبح يرى في «العمل» مظهرا لقدرته الابتكارية على تحقيق ذاته، وبناء حياته، وتشكيل بيئته، واسعاد أبناء جنسه،

والحق أنه اذا كان ثمة سمة بارزة للحضارة الصناعية المعاصرة، فتلك هي السمة البشرية التي نلمحها في سعي الانسان المعاصر من أجل تحقيق ضرب من التناغم المتزايد بين «التقنية» من جهة، و«العنصر البشري» من جهة أخرى. وليست التحسينات المستمرة التي يحاول علماء الاقتصاد المعاصرون ادخالها على المشروعات الصناعية الكبرى سوى مجرد محاولات دائبة من أجل النظر بعين الاعتبار الى «العلاقات البشرية» حتى يسترد «العمل» أبعاده البشرية والاجتماعية.

فلسفات اليوم والعمل...

وحسبنا — اليوم — أن نلقي نظرة على كتابات الفلاسفة المعاصرين في «العمل»، لكي نتحقق من أنهم قد أصبحوا يعلون من شأنه، ويجعلونه مساوقا للحياة نفسها، ويتحدثون عنه بوصفه مصدرا للمتعة الجمالية، ويتنادون بأنه أخ توأم للعب، ويبرزون ما فيه من «عنصر بطولي» والواقع أنه اذا كان بعض الاتجاهات الفكرية القديمة قد نظرت الى «العمل» على أنه «شر» أو «نقمة»، فإن الكثير من الاتجاهات الفكرية المعاصرة قد أصبح يرى فيه «خيرا» أو «نعمة». دليل ذلك أن «العمل» اليوم قد أصبح تعبيرا عن متعة الروح البشرية في سيطرتها على قوى الطبيعة، وانتصارها على مقاومة المادة. بل ان بعض المفكرين المعاصرين ليتحدث عن المضمون الجمالي للعمل، فيقرر أن من شأن الطابع الابتكاري الحر للعمل البشري أن يخلق عليه صبة جمالية. وعلى حين أن «العمل»—في العصور السابقة—كان يفرض على الانسان فرضا. أصبح «العامل» في عصرنا الحاضر—خصوصا في بعض المجتمعات الصناعية المتقدمة—هو الذي يختار نوع «العمل» الذي يلائمه، ومن ثم فقد أصبح للعمل جاذبيته الخاصة بوصفه تعبيرا عن عملية تحقيق الفرد لذاته. وذهب بعض المفكرين المعاصرين الى حد أبعد من ذلك، فقالوا ان «العمل» هو الذي

يصف بعض علماء الاجتماع حضارة الانسان المعاصر فيقولون انها «حضارة العمل». وليس في وسع أحد أن يزعم أن انسان أمس قد جهل «العمل»، ولكن ربما كان الانسان المعاصر—في تاريخ البشرية الطويل—هو الانسان الوحيد الذي يختلط مصيره—أو يكاد—بنشاطه العملي. حتى ليكاد العمل أن يصبح «قيمة القيم» في الحضارة الغربية المعاصرة، ان لم نقل في حضارة اليوم كلها شرقا وغربا على السواء.

وقد استطاع الانسان المعاصر عن طريق العمل أن يحيل «العالم الطبيعي» الى «عالم بشري»، فكانت السيطرة على الطاقة بمثابة عملية «تحرير كامل» للانسان من سائر الضغوط المادية والضرورات الطبيعية. ولا ريب فقد كان اكتشاف سر الطاقة الذرية بمثابة المرحلة الأخيرة من مراحل تحرير الانسان، وهو التحرر الذي ابتداء باختراع الآلة البخارية، ثم كان أن خطا خطوة حاسمة باكتشاف الكهرباء، الى أن جاء عهد الذرة فانتزع من المادة كل أسرارها. وعلى حين أن أهل القرن التاسع عشر كانوا يرون في العمل الصناعي سيطرة للآلة على الانسان، أصبح أهل القرن العشرين يعرفون أن «العامل» هو الذي يتحكم الآن في «الآلة» لأنه لم يعد مجرد ترس من تروسها، بل أصبح منها بمثابة المشرف أو الموجه لسيرها. وعلى حين أن «تقسيم العمل»—في القرن التاسع عشر—كان بمثابة ظاهرة اقتصادية جوهرية لضمان وفرة الانتاج ورخص السلع، جاء القرن العشرون فردّ للعامل كرامته، وأخذ في اعتباره أهمية «العامل البشري»، مما جعل الكثيرين من رجالات الاقتصاد المعاصرين يرفضون مبدأ «تفتيت العمل»، ويدعون الى استخدام الآلات المركبة التي تسمح للعامل بتحقيق «العمل» المطلوب ككل. ولا شك أن تقدم التقنية الحديثة، واستخدام الأجهزة الالكترونية، قد أعاد الى الانسان مركز الصدارة، فأصبحت الصناعة الحديثة اليوم تقوم أولا وبالذات على قيمة العمل البشري.

وما شاكل ذلك . ولعل هذا هو أحد المعاني التي نعنيتها حين نقول عن حضارتنا اليوم أنها « حضارة العمل » .

حضارة العلم والعمل تجاه « التراث الإنساني »

لا يفوتنا أن ننبه الى أن « حضارة العمل » هي أولا وقبل كل شيء « حضارة العلم » دليل ذلك أن المثل الأعلى الذي تتخذ منه الحضارة صرة المعايير لها . إنما هو « سعادة البشرية » . ومعنى هذا أننا اليوم بصدد « نزعة إنسانية علمية » ترى في التقدم الصناعي معيارا لتجارتها . ولعل هذا هو السبب في اهتمام القرن العشرين بالتربية العلمية ، وحرصه على تزويد النشء بأسلوب علمي في التفكير . وعلى حين أن القدماء كانوا يضعون على رأس مواد التعليم الفلسفة والأدب ، نلاحظ اليوم أن العلوم الطبيعية قد أخذت تحل محل الدراسات الإنسانية ، وأن المنهج التجريبي قد أصبح يقوم مقام المنهج الاستنباطي . وبينما كان الأقدمون يضعون « الكون » نفسه تحت أمرة العقل البشري ، ويطبقون على الظواهر الجزئية مجموعة من القوانين العامة ، أصبح المحدثون يقتصرن على ملاحظة الظواهر ، واستقراء الواقع ، من أجل الوصول الى الكشف عن أسرار الكون ، مع الخضوع في الوقت نفسه للقوانين التي يكتشفونها عن طريق المنهج الاستقرائي . بيد أن « العلم » وإن كان يزود الإنسان بالأسلحة الضرورية اللازمة لمواجهة الطبيعة ، إلا أنه يترك الإنسان أعزل — أو شبه أعزل — حين يكون عليه أن يواجه مصيره . والحق أن نموذج الإنسان الذي يسهم « العلم » في تكوينه إنما هو نموذج « الإنسان العملي » الذي يأخذ على عاتقه مهمة المضي في تحقيق عملية « التقدم المادي » ، دون أن يكون من شأن « العلم » أن يضع تحت أنظارنا غايات أخرى أبعد من ذلك ، أو قيما أخرى تعلو على أمثال هذه القيم المادية . ولا ريب ، فإن الإنسان حين يقع تحت تأثير العلم ، فإنه كثيرا ما ينسى — أو يتناسى — الغاية القصوى التي يهدف إليها من وراء كل نشاط علمي .

وهو حين يضل طريقه في وسط العديد من ضروب التخصص ، فإنه قد لا يتمكن عندئذ من رؤية الآفاق البعيدة للمشكلات البشرية ومن ثم فقد نراه يتجاهل — أن لم نقل يحتقر — « القيم الكلية » . وهنا يجيء « التراث الإنساني » فيذكر أهل العلوم الطبيعية بأن « حضارة العمل » لا يمكن أن تستغني عن « القيم الإنسانية » ، لأنه ليس من حق عصرنا العلمي أن يدير ظهره لتراث الفلاسفة والأدباء وغيرهم من أهل الفكر . صحيح أن أحدا لا يدعو اليوم الى احلال « الانسانيات » محل « العلوم » ، ولكن من المؤكد أن أهل الثقافة العلمية أنفسهم في حاجة ماسة الى هذه « الروح الإنسانية » التي تعلمهم احترام « القيم الشخصية » وتلقنهم مبادئ الحق والخير والجمال . وحين يدرك أهل العلم أن ثمة مثالا أخلاقيا أعلى ينظم حياتنا ويخلق عليها كل معناها ، فهناك قد يفتن المتحمسون للتربية العلمية الى أنه لا بد لنا من العمل على صيانة « الشخصية البشرية » ضد شعار التقدم الصناعي اللانساني ، وحماية الحضارة البشرية ضد جنون الحياة الآلية المادية . ومهما يكن من سحر الرفاهية الاقتصادية التي تجيء مع حضارة العلم والعمل ، فستبقى الغاية القصوى لكل نشاط بشري هي العمل على مواجهة المصير الإنساني عن طريق تحقيق المزيد من ضروب التفتح ، والنضج النفسي ، والتكامل الاجتماعي .

هل أخذ « عصر العمل » يتحول الى « عصر فراغ » ؟

مما تقدم يتبين لنا أن خط سير الحضارة الغربية الراهنة هو الذي أصبح يميل بها نحو « نزعة علمية إنسانية » ، تحقق من جهة نمو الروح العلمية ، فتعمل على تثبيت دعائم حضارة العمل ، وتستبقي من جهة أخرى تراث الثقافة الكلاسيكية ، فتوجه حضارة العمل في اتجاه التقدم البشري الصحيح . ولو كان لنا أن نأخذ بالتفرقة السقراطية المعروفة ، لكان في وسعنا أن نقول أن من شأن « العلوم » أن تعرفنا ما هو « الحق » ، في حين أن « الأدب » تكشف لنا عما هو « خير » . وحين ينضاف

الوعي بالذات الى المعرفة العلمية ، فهناك يمكن للوسائل التكنولوجية أن تصبح عوناً على تحقيق « الترقى البشري » أو « التسامي الإنساني » . وهكذا نرى أن انتصار « العمل » قد اكتمل : فإن « العمل » لم يعد يتحكم في كل نبضات عصرنا اجتماعياً . واقتصادياً ، وسياسياً ، فحسب ، بل هو قد أصبح أيضاً ينظم كل جهازنا الثقافي . ولكن في استطاعتنا مع ذلك أن نتساءل عما اذا كان الحال سيدوم على هذا المنوال ، أو كان « عصر العمل » نفسه قد أخذ يتدهور أو قد شرع بالفعل في الزوال ! ألسنا نلاحظ أن البشرية قد أخذت تنجح في التحرر تدريجياً من « العمل » نفسه لكي تستعوض عنه : « الفراغ » ؟ ألا نجد لدى بعض علماء الاجتماع المعاصرين اتجاهات واضحة نحو استرداد « القيمة » التي كانوا يخلعونها على « العمل » من أجل خلوعها على الضد المقابل له ألا وهو « الفراغ » ؟ فهل نقول أن « عصر العمل » قد أخذ يتحول الى « عصر فراغ » ؟

إننا لو ألقينا نظرة فاحصة على المجتمع الصناعي المعاصر ، لوجدنا أن التقدم التكنولوجي قد أدى من جهة الى تقليل ساعات العمل ، كما عمل من جهة أخرى على رفع مستوى المعيشة . والواقع أن هذا التقدم قد سلب « العمل » جانباً غير قليل من الوقت الذي كان مخصصاً له ، كما أنه في الوقت نفسه قد وفر للعامل الكثير من الوسائط الهامة التي تزايد يوماً بعد يوم . من أجل تخصيص هذا الوقت الزائد للفراغ . وعلى حين كان العامل منذ نحو قرن واحد من الزمان يشتغل أسبوعياً حوالي ٩٠ ساعة ، أصبح اليوم لا يعمل سوى حوالي ٤٠ ساعة في الأسبوع فقط ، كما أن كل عامل قد أصبح يتمتع بعطلة سنوية مجزية .

ولما كانت زيادة الانتاج في المجتمعات الصناعية الكبرى — لا يمكن أن تستمر دون تزايد مماثل في الاستهلاك ، فقد أصبح « الفراغ » ضرورة اقتصادية كبرى ، نظراً لأن من شأنه أن يولد باستمرار حاجات متجددة .

وهذه الظاهرة الاقتصادية الحديثة التي تحيل « الفراغ » الى ضرب من الواجب الاجتماعي ، انما تتجلى بصفة خاصة في المجتمعات الغنية . حيث يسود الرخاء الاقتصادي .

إذا كان « الفراغ » قد أصبح—أو كاد يصبح—ضرورة اقتصادية ، فهل يعني ذلك أنه سوف يقوم في المستقبل القريب مقام « العمل » ؟ أليس هناك بون شاسع بين حياة عابثة لا تكاد تخلق عالما حتى تعمد الى هدمه ، وحياة ملتزمة تصارع على الدوام ضد بعض العوائق الحقيقية ، من أجل تهيئة مستقبل أفضل ؟ ... وأما اذا أصرّ البعض على القول بأن كل مشكلة الانسان انما تتركز بتمامها حول « العمل » فماذا عسى اذن أن يكون دور « الفراغ » ؟

هنا يقرر بعض علماء الاجتماع أن الفارق بين دنيا العمل ودنيا الفراغ هو كالفارق بين « مملكة الضرورة » و « مملكة الحرية » . ومعنى هذا أن من شأن الفراغ أن يقضي على الاعياء المتسبب عن العمل ، وأن يزيل أسباب الملل الناجم عن الاستمرار في بذل الجهد ، وأن يعوّض الانسان عن ذلك التشويش الذهني الذي يولده في نفسه تقسيم العمل . ومن هنا فان دور الفراغ في حياة الانسان المعاصر هو دور الدواء الذي يزيل الآثار السيئة الناجمة عن العمل الآلي الرتيب .

ولكن ، أئني للفراغ أن يؤثر على العمل ، اذا كنا قد بدأنا بوضعه خارج نطاق العمل ؟ صحيح أن ثمة « تعباً » ينشأ لدى الانسان نتيجة لما يقوم به من عمل صناعي آلي . ولكن هذا « التعب » في الحقيقة لا يرجع الى أسباب فسيولوجية بقدر ما هو راجع الى أسباب سيكولوجية . والحق أن الاعياء الذي يشعر به العامل انما يرجع—على وجه الخصوص—الى الضيق الذي يعانیه أثناء تأديته لوظيفته ، مما يسبب له الشعور بعدم الارتياح . وليس في وسع « الراحة » أن تقضي على أسباب « التعب » الذي يستشعره العامل ، وانما لا بد للعامل من أن يجد في عمله ضرباً من « الاهتمام » ، حتى لا يصبح الجهد الذي يقوم به أثناء تأديته لعمله جهداً آلياً رتيباً . ومن هنا فانه لا بد لنا من صبغ « العمل » بصبغة بشرية ، حتى يكون في هذا التحويل الجذري للدلالة العمل ما قد

يزيل عنه بعض أسباب الرتابة . وأما « الفراغ » وحده فانه لن يكون هو الكفيل بالقضاء على « السأم » ، ما دام النشاط الذي يقوم به العامل في جملته نشاطاً آلياً رتيباً . فحين يجد العامل نفسه وجهاً لوجه أمام ذاته ، فانه يجزع لخوائه الباطني ، وبالتالي فانه سرعان ما يعزف بنفسه الى ضروب التسلية العنيفة التي تتناسب مع ايقاع حياته الصناعية الآلية . وإذا كان البعض قد تحدث عن ظاهرة « الادمان » على تعاطي سموم التسلية ، فربما كان المقصود بهذا التعبير الافراط في « الهروب من الذات » ، أو العمل على « نسيان الذات » ، عن طريق الاستسلام لرياضات السرعة الآلية المخيفة ، والقيام بشتى الأنشطة الحرة التي تشبع حب الانسان للصخب والضوضاء وما شابه ذلك . وليس أمعن في الخطأ من أن نتوهم أن يكون في الامكان لشخصية المرء أثناء الفراغ أن تكون مغايرة لشخصيته أثناء العمل ، والسبب في ذلك أن سلوك الفرد لا يكاد يتغير بتغير طريقته في استخدامه لوقته . ومن هنا ، فان كل من يضع « الفراغ » في مقابل « العمل » انما يسلم ضمناً بإمكان وضع « حالة نفسية » في تعارض تام مع « حالة نفسية » أخرى لدى نفس الفرد . ولكن الحقيقة هي أن « الفراغ » يعكس نوع « العمل » الذي يقوم به الفرد ، فهو يبرز عيوب هذا « العمل » بدلاً من أن يخفيها أو يقيتها .

تحقيق الترابط بين العمل والفراغ

والواقع أنه اذا بقي « الفراغ » بمنأى عن النشاط الحقيقي الفعال للموجود البشري ، فلا بد من أن يصبح عندئذ سبباً من أسباب « اغتراب » الانسان عن ذاته . وحينما يتوهم الانسان أن الوقت الذي يقضيه في التسلية هو وحدة الكفيل بتحطيم سلسله ، فان مثل هذا الوهم قد يصرفه عن التفكير في الميدان الحقيقي الذي لا بد له أن يصارع ويتنصر فيه . وهكذا يجيء عالم الفراغ الوهمي اللاشعوري فيعمي الانسان عن حقيقة هدفه في الحياة ، وعندئذ نراه يضلّ بغير ما هدف في عالم من النشاط العاثر اللاعقلي . وهذا ما حدا ببعض المفكرين المعاصرين الى القول بأن « وقت الفراغ » قد أصبح أقيون الانسان المعاصر » . وآية ذلك أن الفراغ كثيراً ما يفسد عليه عمله ، ان لم نقل بأنه قد يتنقص—في نظره—من قيمة العمل نفسه !

واذن فانه لا بد لنا—اذا أردنا للفراغ ألا يؤدي الى « اغتراب » الانسان عن ذاته—من أن نوثق الصلة بين كل من « العمل » و « الفراغ » . ومعنى هذا أننا بازاء نمط من أنماط الوجود لا بد لنا من توجيههما معا في اتجاه موحد ، ألا وهو اتجاه النشاط البشري الكلي أو الشامل . ولا ريب ، فان « العمل » يكون ماهية الحياة المادية ، في حين أن « الفراغ » هو الذي يكون ماهية الحياة الروحية . وحين يتسنى للانسان أن يحقق الترابط بينهما ، فهناك قد يكون في وسعه أن يوسع من دائرة الخبرة البشرية ، وأن يعمل في الوقت نفسه على اثرائها .

فراغ والحياة الروحية للانسان

قد يقع في ظن البعض أن « العمل »—والعمل وحده—هو الكفيل بتحرير الانسان . لأن مصير الانسان—كما يقولون—لا يمكن أن يتحقق الا بانتصاره التدريجي على الطبيعة . ولكن الحقيقة أن حرية الانسان ليست مستوعبة بتمامها في « العمل » حتى ولو نظرنا اليه باعتباره مظهراً لسيطرة الانسان على الطبيعة ، بل لا بد للانسان من أن يمتد بحريته الى مجالات أخرى تعدو دائرة الطبيعة ، كمملكة الحقيقة ومملكة الجمال ، وغيرهما من المجالات التي تكمن خلفها أسرار الحياة . واذا كانت التربية الجمالية قد ظلت حتى الآن وقفاً على قوم دون غيرهم ، فان تزايد أوقات الفراغ سيكون كفيلاً بجعل التربية الجمالية في متناول الجميع . وحين يعرف الانسان المعاصر كيف يستخدم أوقات فراغه فيما يعود عليه بالنفع : أعني فيما يحقق لحياته الروحية المزيد من القوة والعمق والخصوبة ، فهناك قد تتألق من جديد في السماء الملبدة بدخان المصانع نجوم لامعة تضيء الطريق أمام الانسان !

وأخيراً لا بد لنا من أن نقرر أن « الفراغ » هو الذي يجيء فيحرر الانسان—ولو الى حين—من أسر « العمل » ، لكي يذكره بنفسه ، ويضعه وجهاً لوجه أمام ذاته . ومثل هذا الوعي الذاتي الذي قد يكتسبه الانسان من خلال « الفراغ » ، هو الذي قد يسمح له بمعاودة « العمل » بروح الالتزام والحرية الحقيقية . وقد تكون هذه المروحة المستمرة بين العمل والفراغ ، هي المظهر الأوضح لسعي الروح البشرية باستمرار نحو المزيد من الكمال ... !

د. زكريا ابراهيم — القاهرة

سَمَاءُ لَيْلٍ

للراحل الدكتور زكي المحاسني



وَمِنْ دُونَ رَمْسَيْنَا مِنَ الْأَرْضِ سَبَبُ
لَصَوْتِ صَدَى لَيْلِي يَهْشُ وَيَطْرَبُ
—مجنون ليلى—

وَأَنَّ الْهَوَى مِثْلِي الْيَكْمُ مُعَذَّبُ
وَلَا تَرْكِبِي فِي رُوكِ أَقْلَبُ
نَسِجًا بِأَيْدِي الرِّيحِ يَأْتِي وَيَذْهَبُ
وَيَسْأَلُنِي أَيْنَ اللَّقَا وَالْقَرَبُ
هُوَ الْأَبْكَمُ الْغَرِيدُ عَنِّي يُغْرِبُ
شَايِبَ دَمْعٍ لِلْأَحْبَةِ تَنْدُبُ
بِرَقْرِقِهَا فَوْقَ السَّحَابِ تُسْحَبُ
وَأُبْحَثُ عَنْ ذَاتِي، وَذَاتِي تَهْرُبُ
يَقْلَبُونَ فِي الْبَلَوِ وَأَيْنَ الْمُحَبِّبُ
وَذَلِكَ السَّرَى فِي حَوْمَةٍ لَيْسَ يَغْرُبُ
ظِلَالًا وَأَضْغَانِي الْكَتَالُ الْمُعْطَبُ
كَأَنِّي جَوَادٌ مِنْ نَدَى الرِّيحِ يَشْرَبُ
أَحَاوِرُهُ صَوْتًا بِصَوْتٍ وَأَعْجَبُ
وَأَنْشَقُ مِنْهَا رَاوِيَاتِي وَأَسْكُبُ
تَعَالَتِي كَمَا كُنَّا نُحِبُ وَنَطْرَبُ

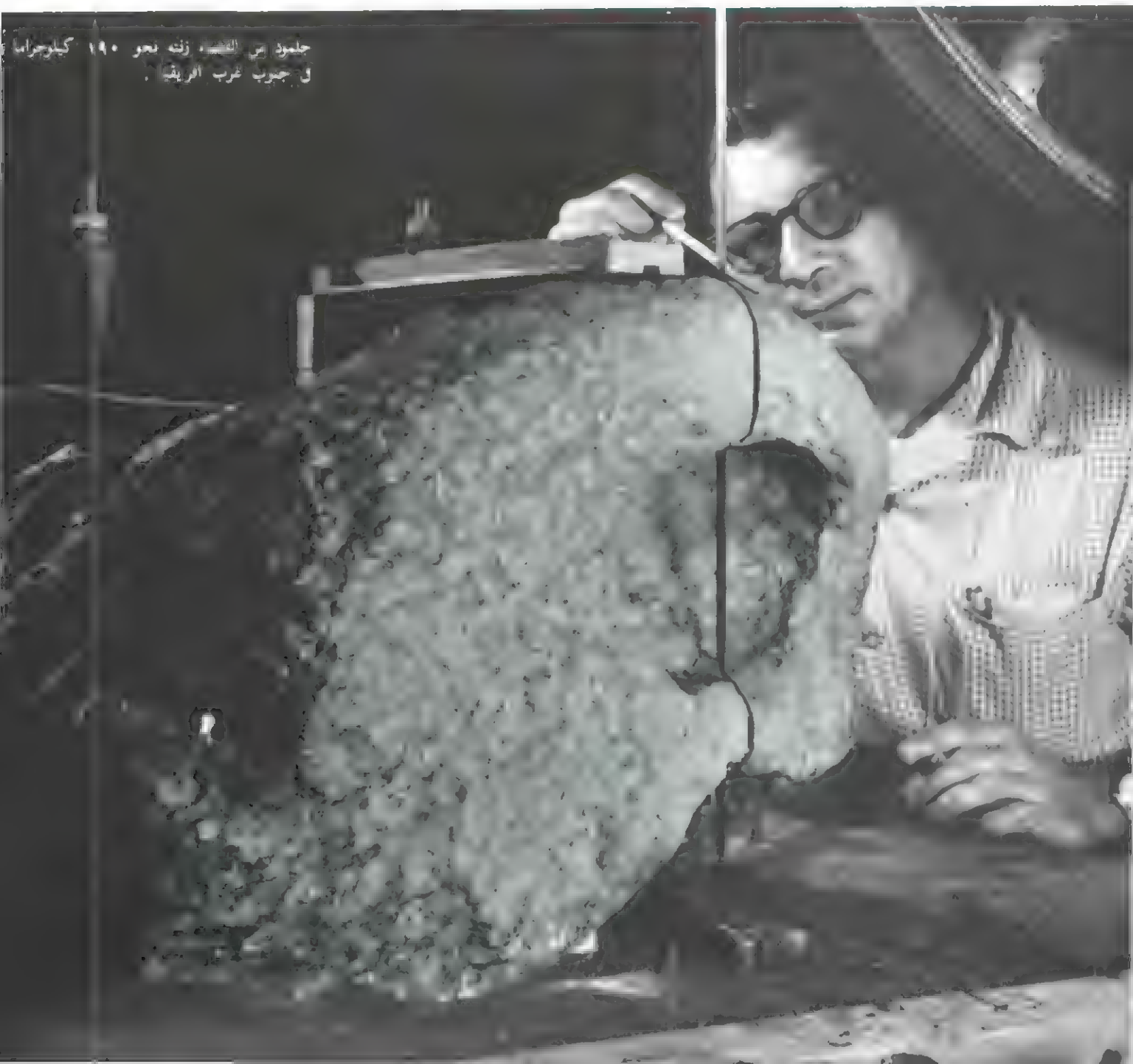
وَلَوْ تَلَقَّيْتُ أَصْدَاؤُنَا بَعْدَ مَوْتِنَا
كَأَنَّ هَظَا صَوْتِي وَإِنْ كُنْتُ رِمَةً

لَا إِنَّمَا الدُّنْيَا رَجَاءٌ وَمَطْلَبُ
لَا غَادَتِي لَا تَبْرُمِي الشَّعْرَ عَنُودَةً
رَبَّتْ عَلَى الذِّكْرِ فَأَلْفَيْتُ دَارَهَا
فَالْجُ أَمَالِي فَيَدْنُو شَرِيدُهَا
فِي السَّمْعِ مِثْلِي عِنْدَ لَيْبٍ مَغِيبُ
طَرْتُ إِلَى آفَاقٍ عَيْنِي فَخِلْتُهَا
وَسَلْتُ رُوحِي كَالْحَمَامَةِ تَنْشِي
وَدُ دِيَارِ الْوَهْمِ فِي مَسْبَحِ الْمُنَى
لَامٌ عَلَى الْأَحْبَابِ مِنْذُ عَرَفْتُهُمْ
لَمَعْتُ كَنَجْمٍ أَبْهَجَ اللَّيْلِ لَمْعُهُ
مَوْتَتُ مَرَاتِي فَلَحْتُ خِلَالَهَا
أَيْنَ نَضَارَاتِي، وَأَيْنَ تَحْمُحُمِي
رِعْتُ لِيَشْعُرِي وَهُوَ سَلَاوِي فِي الْأَمَى
لَمَسْتُ أَحْلَامِي هَبَاءً هُفُوفُهَا
بَاغَادَتِي حَتَّامَ هَجْرِكَ فِي الْهَوَى

النسيانك ..

جملات وفلسفات من الفضاء

بقلم الأستاذ محمد العيسى الذ



جملود من الفضاء زنت نحو ١٩٠ كيلوجراما
في جنوب غرب أفريقيا

سقوط النيازك على سطح الأرض

لقد تبين علميا أن كتلة الجرم . قبل أن تصل الى سطح الأرض . تفقد تسعة أعشار وزنها على شكل غازات غالبا ما تتكثف الى دقائق صغيرة . ومن ثم تهبط على وجه الأرض على هيئة رماد نيزكي أو تظل عالقة في قطرات المطر .

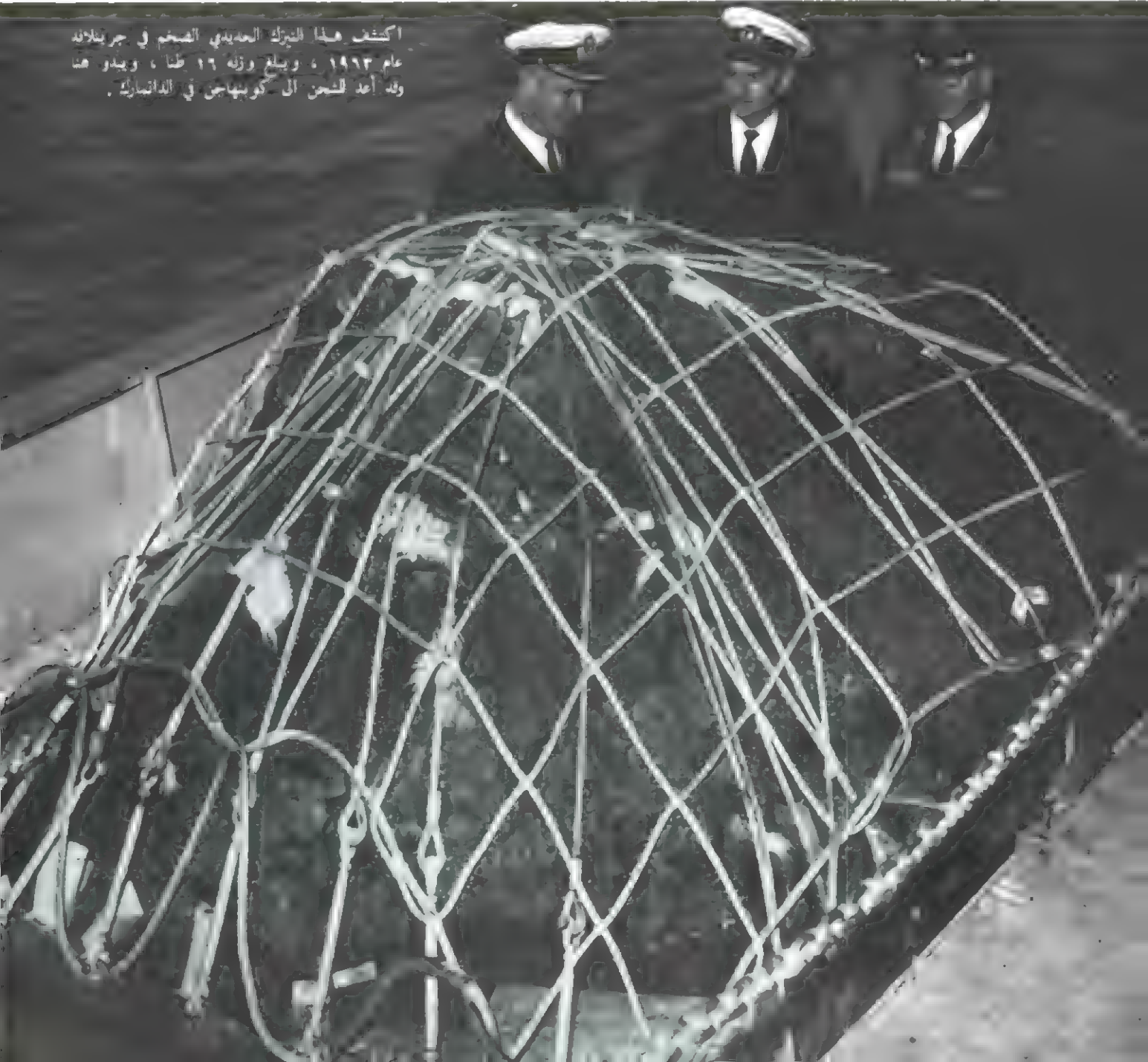
وتتراوح أوزان النيازك المختلفة ما بين الميلي جرام (جزء من ألف جزء من الجرام) ومئات الكيلوجرامات . ويعتبر النيزك الذي وجد بالقرب من «جروت فونتن» -

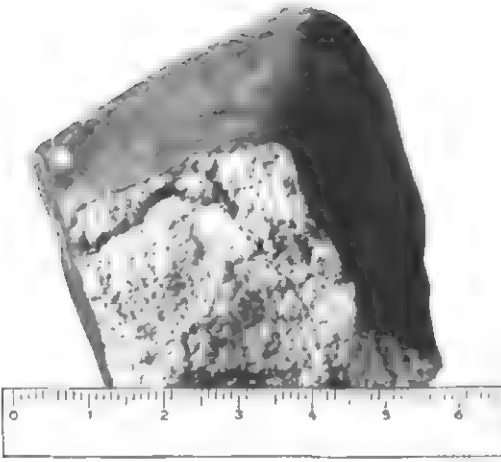
دخوله جو الأرض تبلغ حوالي أربع درجات مئوية . وبعد دخول الجرم الغلاف الجوي للأرض ترتفع درجة حرارته نتيجة الاحتكاك بالغازات المنتشرة في الجو . ومن ثم يبدأ بالتوهج . وفي هذه الحالة . يسمى الجرم شهابا . فقد لوحظ أن مقدار الضوء المنبعث عن هذا الجرم الفلكي أثناء التوهج يتناسب تناسباً طردياً مع وزن الجرم نفسه . ونظراً لشدة التوهج . يأخذ الجرم بالتبخّر تدريجياً .. فإذا كان الجرم كبيراً فمن المحتمل أن يصل جزء منه الى سطح الأرض على هيئة قطعة صلبة . وعند ذلك يسمى الجرم «نيزكا» .

١ في الليالي الصافية وغير القمرية نشاهد عشرات الأجرام المتوهجة تهوي من السماء ثم تلاشي . ونادراً ما تنحدر تلك الأجرام خلف الأفق المظلم ساحبة خلفها ذبلاً من النور الساطع . تلك الأجرام هي إما أن تكون نيازك متوهجة أو مذنبات .

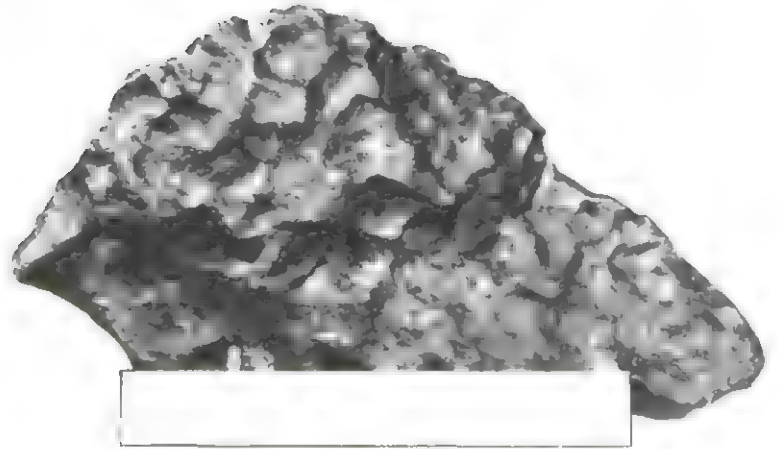
و «النيازك - Meteorites» عبارة عن أجرام فلكية صغيرة تسقط على سطح الأرض تحت تأثير الجاذبية الأرضية . والمعروف علمياً أن سرعة الجرم أثناء تلاقيه مع الغلاف الجوي العلوي للأرض غالبا ما تتراوح بين ١١ و ٧٢ كيلومترا في الثانية . كما أن درجة حرارته قبل

اكتشف هذا النيزك العديدة الضخم في جرينلاند عام ١٩٦٣ ، ويبلغ وزنه ١٦ طناً ، ويبدو هذا وقد أعد للشحن الى كوبنهاغن في الدانمارك .





قطعة من نيزك حجري سقط في ولاية «داكوتا» الجنوبية ، والقطعة معروضة في جامعة ولاية أريزونا الأمريكية .



نيزك حديدي صغير الحجم سقط في أستراليا ويوجد الآن في جامعة ولاية أريزونا .

الشامخة في مهب الرياح . وعلى مر آلاف السنين نجد الصخرة الشامخة وقد بدا عليها التآكل وهنا نجد التشابه في عملية التعرية التي تقوم بها الدقائق الرملية على سطح الأرض وعملية التعرية التي تقوم بها النيازك المجهرية على سطح القمر .

أنواع النيازك

تقسم النيازك الى ثلاثة أنواع رئيسية :
حديدية : ويتكون هذا النوع من حديد ونيكل ، وهما من الفلزات ، على هيئة سبيكة . ويمثل النيكل ما بين ٤ الى ٢٠ في المئة من وزن النيزك والباقي عبارة عن حديد . ويوجد عادة بعض المعادن مثل «الترويليت - Troilite» والجرافيت مبعثرة في أجسام النيازك الحديدية وعلى شكل حبيبات صغيرة .

حجرية : وتتركب من عدة معادن أهمها «الأولفين - Olivine» الذي يمثل ٤٠٪ ، و «البيروكسين - Pyroxene» ويمثل ٣٠٪ ، و «البلاجيوكليس - Plagioclase» ويمثل ١٠٪ ، و «الترويليت» ويمثل ٦٪ ، بالإضافة الى نسبة من الحديد والنيكل يتراوح مقدارها بين ١٠٪ و ٢٠٪ .

ان هذا التركيب المعدني يشبه الى حد ما تركيب بعض الصخور النارية الأرضية . لذلك فان هناك تشابها من حيث نشوء بعض صخور الأرض النارية ونشوء النيازك الحجرية . ومن

على المنطقة وأحدث ١٠٦ فجوات دائرية في أرض المنطقة ، بلغ قطر أكبرها حوالي عشرة أمتار ، كما جمع ما يربو على خمسة أطنان من قطعه الحديدية .

النيازك على سطح القمر

ان وجود فوهات شبه بركانية على سطح القمر من الظواهر الطبيعية التي تلفت الأنظار لهذا فقد أتى على العلماء أكثر من عشرين عاما وهم يبحثون في أصل تلك الفوهات القمرية . وتشير الأبحاث الأخيرة التي نشرت في أواخر عام ١٩٧٢م بشأن هذا الموضوع بأن معظم الفوهات القمرية تكونت نتيجة اصطدام النيازك بسطح القمر وذلك خلال العصور الجيولوجية القمرية .

هذا ، وبالنسبة لصخور القمر التي أحضرها رواد الفضاء الأمريكيون لوحظ أنها كانت معرضة لعوامل التعرية . وحيث أن الماء والهواء ، وهما عاملان من عوامل التعرية ، لا يوجدان على سطح القمر ، فلقد عزا العلماء ذلك الى «النيازك المجهرية - Micrometeorites» التي تسقط على سطحه باستمرار . وعلى مر آلاف السنين أدى تساقط النيازك المجهرية على الصخور القمرية الى تعريتها وتآكلها . وعملية التعرية هذه تشبه الى حد ما تلك التي تتعرض لها بعض الصخور الأرضية . فالدقائق الرملية التي تحملها رياح الأرض تصطدم بالصخور

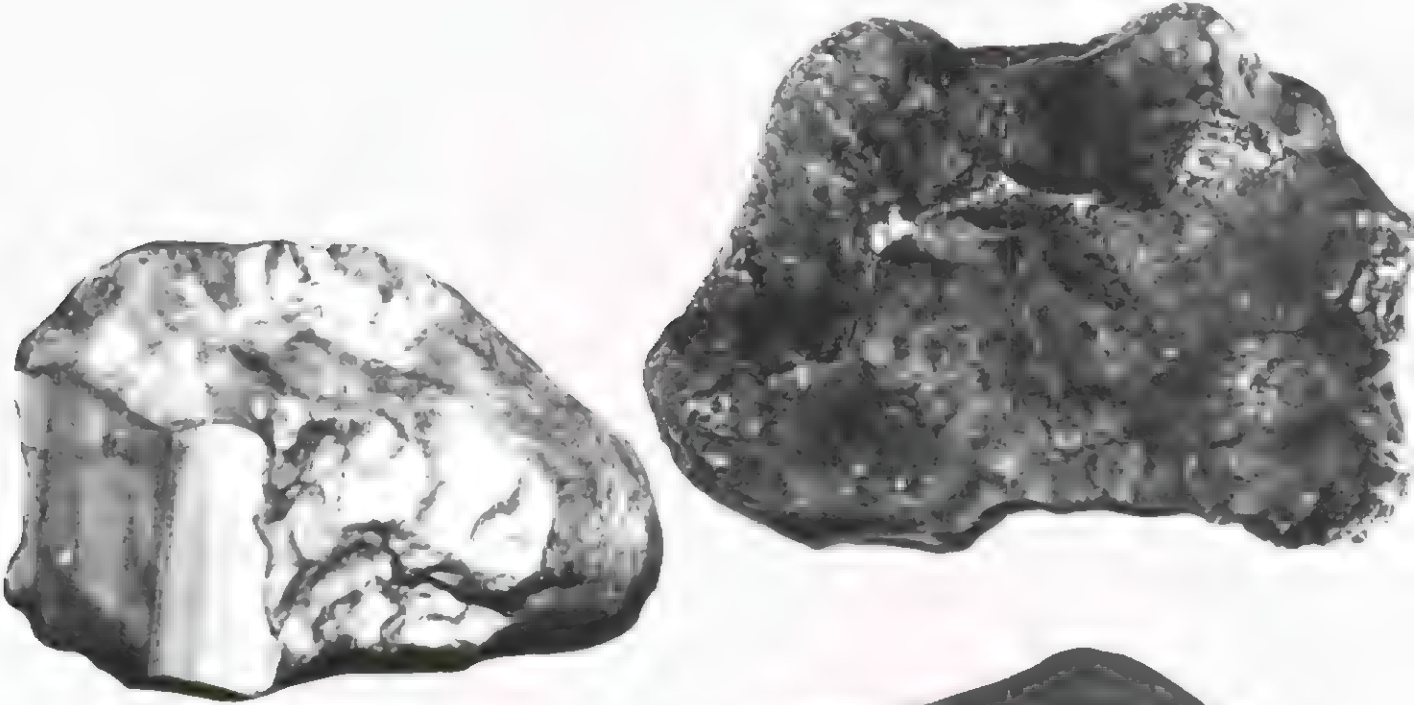
Grootfontein « في جنوب غرب أفريقيا من أكبر النيازك المعروفة ، حيث يبلغ وزنه حوالي خمسين طنا . أما بالنسبة لأكبر نيزك معروف للمشاهدة فذلك الذي يوجد في المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي ، في مدينة نيويورك ، ويبلغ وزنه ٣٤ طنا .

لقد دلت الاحصاءات الواقعة في الفترة ما بين عامي ١٨٠٠ و ١٩٦٠م على أن معدل تساقط النيازك على سطح الأرض يزداد خلال شهر يونيو ويقل في شهر مارس من كل عام . أما بالنسبة لمتوسط وزن ما يسقط على سطح الكرة الأرضية فقد قدر بحوالي ٥٥٠٠ طن يوميا .

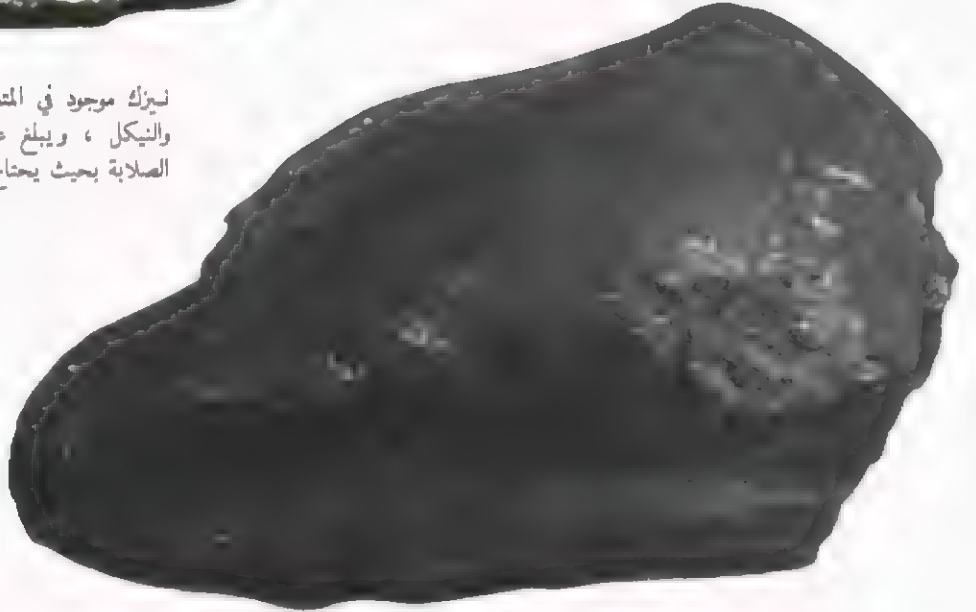
نيزك حديدية وهائلة

لقد حدث في ٣٠ يونيو ١٩٠٨م أن سقط نيزك هائل على وسط سيبيريا ، ولقد أدى ارتطامه بالأرض الى أحداث هزات أرضية حول منطقة السقوط ، وسجلت مراكز الزلازل في أوروبا تلك الهزات ، كما أدى الارتطام الى تساقط بعض الأشجار التي كانت بعيدة نسبيا عن مكان السقوط . أما في ١٢ فبراير ١٩٤٧م فلقد سقط نيزك آخر بالقرب من «فلاديفوستك» في سيبيريا . ووصفه المشاهدون وهو يقترب من سطح الأرض بأنه كالشمس الساطعة . وتفجر ذلك النيزك قبل أن يصل الى سطح الأرض وتحول الى شظايا نيزكية تساقطت

هوى هذا النيزك على منطقة بروجو في فولتا العليا عام ١٩٦٢ بسرعة تقدر بنحو ٣٥ ميل في الثانية .



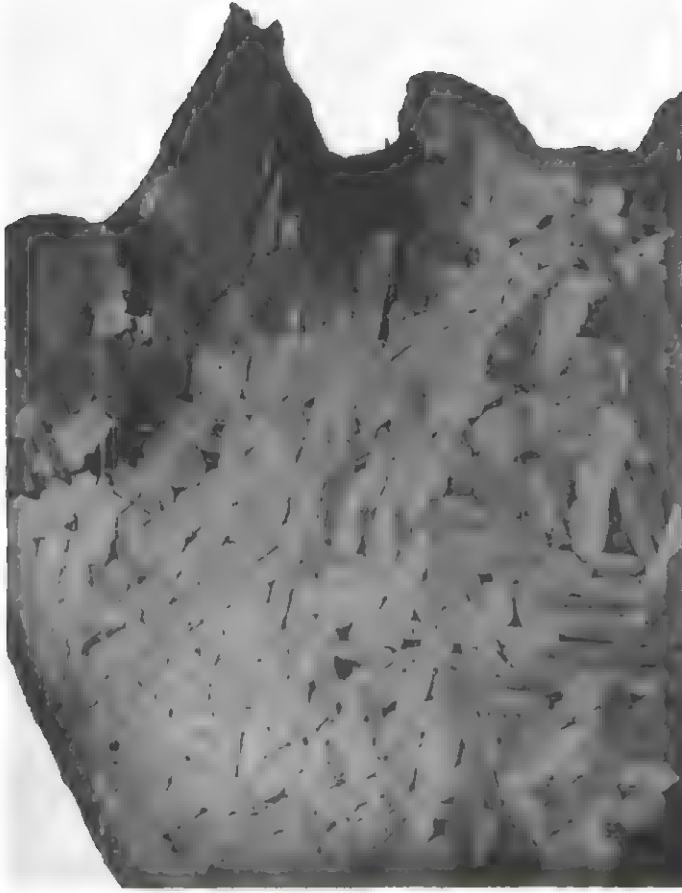
نيزك موجود في المتحف الوطني الأمريكي يتألف من الحديد والنيكل ، ويبلغ عمره ٤٤٠ مليون سنة ، وهو على درجة من الصلابة بحيث يحتاج قص قطعة منه الى نحو ثماني ساعات .



عثر على هذا النيزك في ولاية أوكلاهوما الأمريكية ، ويزن نحو عشرة كيلو جرامات .



في مختبرات الأبحاث تعالج قطع النيازك بالأحماض بغية معرفة تركيبها الكيميائي والمعدني .



يقوم هذان العالمان بفحص جسم زجاجي « تكتيت » من أصل نيزكي ، يعتقد أنه
انتزع من سطح القمر بتأثير نيزك ضخم .

التركيب الداخلي للنيزك يكشف للعلماء قدرا كبيرا عن تاريخه ، ويزودهم
بمعلومات دقيقة عن تكوينه وكيفية سقوطه على سطح الأرض

ذلك فان أصل النيازك هو أصل الكويكبات
التي تفاوتت أحجامها .

نظرية التكوين

تتلخص النظرية الحديثة في تكوين النيازك
في أن المنطقة المدارية الواقعة ما بين كوكبي المريخ
والمشتري كان يشغلها بضعة كويكبات بحجم
الكويكب « سيريس » الآنف الذكر تقريبا .
وكان التركيب العام لكل كويكب يشبه إلى حد
ما تركيب كوكب الأرض ، إلا أن قشرة تلك
الكويكبات لم تتطور بالدرجة نفسها التي
تطورت فيها القشرة الأرضية . وخلال العصور
الجيولوجية الماضية ، حدث تصادم بين بعض
تلك الكويكبات مما أدى إلى بداية سلسلة من
التصادمات التي أدت بدورها إلى تكوين
الكويكبات الأخرى ذات الأحجام الصغيرة .
وكذلك النيازك التي تعتبر شظايا ناجمة عن
تلك التصادمات

كل من الأرض والنيازك . فكوكب الأرض
يتألف من ثلاث طبقات رئيسية هي : القشرة
والباطن والقلب . وتتكون هذه الطبقات من
حجارة وفلزات إلى جانب مواد منصهرة ولدنة .
فالحجارة والفلزات الأرضية تشبه في تركيبها
الكيميائي والمعدني النيازك الحجرية والحديدية
الفلزية . وبالمقارنة بين تكوين الأرض وتكوين
النيازك فقد تبين أن النيازك ، بأنواعها الثلاثة ،
تمثل عينات من ثلاث طبقات لأرض ما .

ثانيا ، لو نظرنا إلى المنطقة الواقعة بين
مداري المريخ والمشتري لوجدنا ما يقرب من
٤٤٠٠ « كويكب - Asteroids » ، كل
أخذ مداره حول الشمس كأني كوكب في النظام
الشمسي . ويعتبر الكويكب « سيريس -
Ceres » من أكبرها حجما ، وقدر قطره
٧٨٥ كيلومترا ، وقد اثبتت تحريات المراصد
الفلكية أن النيازك التي تسقط على سطح الأرض
انما تأتي من منطقة الكويكبات . وعلى ضوء

الجدير بالملاحظة أنه قد تبين أن النيازك الحجرية
تحتوي على بعض المركبات العضوية ، وقد
مضى على العلماء حتى الآن أكثر من قرن وهم
يواصلون أبحاثهم لمعرفة أصل تلك المركبات ،
غير أنهم لم يتوصلوا إلى حل قاطع بعد . وقد ذهب
بعضهم إلى القول بأن تلك المركبات هي نتيجة
تفاعلات غير عضوية ، بينما يرى فريق آخر
أنها بقايا كائنات حية !

حديثة حجرية : ويجمع هذا النوع
ما بين النوعين السابقين .

جسم النيازك وأصلها

اكتشف العلماء عن طريق استخدام
التطائر المشعة الطبيعية أن متوسط عمر النيازك
يبلغ حوالي ٤٧٠٠ مليون سنة .

أما أصل النيازك فيتطلب البحث فيه
أولا ، النظر إلى التركيب العام للكوكب الذي
نعيش عليه ، وذلك لوجود تشابه في تكوين

أخبار دار الكتب

« يواصل مجمع اللغة العربية بدمشق العناية بإخراج كتب التراث بعد تحقيقها تحقيقاً علمياً بأيدي الباحثين المتخصصين .

ومن الكتب التي صدرت عن المجمع أخيراً « نصرة الثائر على المثل السائر » لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي وتحقيق الأستاذ محمد علي سلطاني ، و « كتاب الأزهية في علم الحروف » للأستاذ علي بن محمد النحوي الهروي وتحقيق الأستاذ عبد المعين الملوحي ، و « ديوان عرقله الكلبي حسان بن نمير » تحقيق الأستاذ أحمد الجندي و « ترويح القلوب في ذكر الملوك بني أيوب » للمرثى الزبيدي وتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ، و « شعر عمرو بن أحمد الباهلي » جمع وتحقيق الدكتور حسين عطوان ، والجزءان الأول والثاني من « شرح المفصلية » للتبريزي وتحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ، وكتاب « إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل » لابن الأباري وهو جزءان من تحقيق الأستاذ محي الدين رمضان ، وكتاب « نظرة عيان وتبيان في مقالة أسماء أعضاء الإنسان » لابن فارس وقد شرحها وعلق عليها وأضاف إليها مقابلها باللغتين الفرنسية والانكليزية المرحوم الدكتور صلاح الدين الكواكبي .

كما أصدر المجمع ثلاثة كتب في العلوم البحرية عند العرب هي : « العدة المهرية في ضبط العلوم البحرية » و « المنهاج الفاعل في علم البحر الزاخر » وكلاهما من تأليف سليمان ابن أحمد بن سليمان المهري وتحقيق الأستاذ إبراهيم خوري ، وكتاب « الفوائد في أصول علم البحر والقواعد » لشهاب الدين أحمد بن ماجد النجدي وقد حققه الأستاذ إبراهيم خوري والدكتور عزة حسن .

وفي الوقت ذاته حقق الأستاذ إبراهيم الخوري كتاب « حاوية الاختصار في أصول علم البحار » لابن ماجد وقد نشره المعهد العلمي الفرنسي بدمشق .

« ومن كتب التراث الأخرى التي صدرت أخيراً « الفايصل في صفة الأدب الكامل » لأبي الطيب النوشاء وقد حققه المرحوم يوسف يعقوب مسكوني ، وقدم له الأستاذ شاكور علي التكريتي ونشرته وزارة الإعلام العراقية ، والجزء الرابع من كتاب « العيون والحدائق في أخبار الحقائق » لمؤلف مجهول وقد حققه الأستاذ عمر السعيد ونشره المعهد العلمي الفرنسي بدمشق ، و « بدائع البدائه » لابن ظافر الأزدي وقد حققه العلامة الكبير الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم ونشرته مكتبة الأنجلو ، وكتاب « الحروف » لأبي نصر الفارابي وتحقيق الدكتور محسن مهدي ونشر

دار المشرق ببيروت ، وكتاب « القوافي » لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش من تحقيق الدكتور عزة حسن ونشر وزارة الثقافة السورية ، وكتاب « الفنون » لأبي الوفاء ابن عقيل الحنبلي وقد صدر منه جزءان بتحقيق الدكتور جورج المقدسي ونشر دار المشرق ببيروت ، كما ظهر القسم الأول من الجزء الأول من « دور الحبيب في تاريخ أعيان حلب » لابن الحنبلي من تحقيق الأستاذين محمود الفاخوري ويحيى عبارة ونشر وزارة الثقافة السورية .

« كذلك أصدرت الهيئة المصرية العامة للكتاب طائفة جديدة من كتب التراث منها « التعليقات » لابن سينا من تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوي ، وأربعة أجزاء من « السلوك في معرفة دول الملوك » لتقي الدين أحمد بن علي المقرئ من تحقيق الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور ، والجزء الثالث من « كشف اصطلاحات الفنون » لمحمد علي الفاروقي التهانوي وتحقيق الدكتور لطفي عبد البديع ومراجعة الدكتور عبد النعيم حسنين ، والجزء الثالث من « معاني القرآن » لأبي زكريا بن زياد تحقيق الدكتور عبد الفتاح اسماعيل شلبي ومراجعة الأستاذ علي النجدي ، وطبعة جديدة في جزئين من « أساس البلاغة » لجاد الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري من تحقيق مركز التراث .

« في أدب الرحلات ظهر كتاب جديد للأديب الحجازي الأستاذ عبد الله بن سعد الرويشد عنوانه « أيام في تونس » وقد كتب مقدمته الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي وصدر عن رابطة الأدب الحديث بالقاهرة .

« « ثروة الصباح » عنوان كتاب طريف للأستاذ سعد البواردي فيه عواطر اجتماعية وفكرية . وقد طبع في بيروت .

« في الدراسات الأدبية ظهرت مجموعة من الكتب من أهمها « أعلام الجيل الأول من شعراء العربية في القرن العشرين » للعلامة الأستاذ أنيس المقدسي ، و « عنادل مهاجرة » وهو دراسة لشعراء العصبة الأندلسية في سان باولو أعدها الدكتور عمر الدقاق وصدرت عن دار الانشاء بدمشق ، و « دراسة نصوص من الشعر العربي المعاصر » للدكتورة عزيزة مريدن نشر دمشق ، و « الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث » للدكتور ماهر حسن فهمي نشر معهد البحوث والدراسات العربية ، و « في الغربال الجديد » للأستاذ ميخائيل نعيمة نشر مؤسسة بدران ، و « أحاديث مع الصحابة » للأستاذ ميخائيل نعيمة أيضاً ، و « أضواء على الشعر الحديث » للأستاذ راجي عشتوت ، و « محمود المسعدي وكتابه : السد »

وهو دراسات للمسرحية المشهورة لهذا الأديب الجزائري أعدها الأستاذ نور الدين صمود ونشرتها الدار التونسية للنشر ، و « دراسات في الأدب الفرنسي » ، للدكتور علي درويش وقد صدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ، و « الحركة الفكرية في حلب » للأديبة عائشة الدباغ ، و « الشخصية والصراع المأساوي » للأستاذ عدنان ابن ذويل والكتابان من نشر الشام .

« كتاب جديد في فن الصحافة ظهر في جزئين بعنوان « اتجاهات حديثة في فن التحرير الصحفي » وهو من تأليف الدكتورة أجلايل خليفة ونشر مكتبة الأنجلو .

« الهيئة المشرفة على إصدار معجم لاروس الافرنسي أصدرت طبعة للمعجم باللغة العربية تحمل اسم « لاروس » وهو معجم عربي/عربي جديد . وصدر للدكتور عفيف بهنسي « معجم مصطلحات الفنون » باللغات الانكليزية والافرنسية والعربية وصدر عن مجمع اللغة العربية بدمشق .

« ديوان جديد للشاعر الأردني الأستاذ حسين رشيد خريس ظهر بعنوان « حكاية وجدان » وفيه تجربة الشاعر الخصبية في الوجدانيات والحماسيات والرمزيات ، ولديوان مقدمة بقلم الشاعر عن الشعر في عصر الفضاء والتجديد الذي يرتجى للشعر وهو يتابع قفزات العلم والتقنية . وقد صدر الديوان عن المكتبة العصرية بصيدا .

ومن الدواوين الجديدة ثلاثة خرجت لشاعرات معاصرات ، هي ديوان « يسمونه الحب » للشاعرة العراقية لميعة عباس عمارة وقد صدر عن دار العودة ، و « شراع بلا مرسى » للشاعرة مؤمنة العوف التي عرفت باسمها المستعار سلافة العامري ، و « الشارع ، المدينة ، الرقم » للشاعرة هدى أديب ونشر دار الأديب ببيروت .

وصدر للشاعر توفيق إبراهيم ديوانان هما « شارع النجوم » و « المحرمون » عن مطبعة ستاركو ببيروت ، كما صدر للشاعر جهاد قلعجي ديوان « زهرة اسمها المحبة » عن دار الكاتب العربي ، وللاستاذ اسماعيل عامود ديوان « أغنيات للأرضة البالية » .

« « الشريط الأسود » اعترافات وسيرة ذاتية للأديب الأردني الأستاذ عيسى الناعوري بمقدمة للدكتور شوقي ضيف . وقد صدرت عن دار المعارف .

الى رحمة الله

انتقل الى رحمة الله تعالى الاستاذ الكبير محمود تيمور ، رائد القصة القصيرة . وقد كان رحمه الله من كتاب القافلة البارزين . تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جناته ..

أَحَقَّ أَخْبَا مِنْ جَوْرِ رُنْدَةَ نَوْرِهِ
وَقَدْ أَظْلَمَتْ أَرْجَاؤُهَا وَتَزَلْزَلْ



(١٣٢٠م) بقوله : « وهي من أمنع معاقل المسلمين ، وأجملها وصفا » .
ولا ترى العين حول رُنْدَة سوى القليل من البساط الخضر ، بيد أنه يوجد فوق البقاع والوديان والتلال المحيطة بها ، كثير من غابات الزيتون ، وهو أهم محاصيل هذه المنطقة الوعرة .

اشتهرت رُنْدَة فوق منعتها وحصانيتها الماثورة ، بمن أنجته من العلماء والأدباء والشعراء ، الذين يحتلون في تاريخ الأديب الأندلسي مكانة مرموقة . وإن المقام

وتحتل رُنْدَة موقعا قريداً ، فوق هضبتها الرائعة ، التي تحيط بها الوديان السحيقة ، والآكام العالية وتقع على مقرية من شمال غربي مالقة ، وتفصلها عن مالقة جبال الثلج الشهيرة (سيرا نفادا) ويخترقها من الوسط نهر وادي لين الصغير « Guadalebin » ، في مجرى عميق ينساب الى بطن الوادي السحيق ، وعليه قناطر ثلاث ، الرومانية والعربية والحديثة ، وقد اشتهرت رُنْدَة طوال العصور ، بموقعها الفريد وحصانيتها الفائقة . وقد وصفها الرحالة ابن بطوطة الذي زار الأندلس سنة ٨٧٥١

بشهر الشاعر لمرثية الأندلسية التي يرثي فيها قواعد الأندلس الأخيرة . وفي مقدمتها رُنْدَة « Ronda » وفقاً لتاريخ سقوطها .

كانت مدينة رُنْدَة ، من أعرق قواعد الأندلس الجنوبية ، وقد قدر لها أن تعيش تحت حكم الاسلام والعروبة ، منذ الفتح زهاء ثمانية قرون ، ولم تسقط في يد القشتاليين الا في سنة ٨٨٩٠ (١٤٨٥م) قبيل سقوط غرناطة ، آخر قواعد الاسلام بالأندلس ، ببضعة أعوام .

الضخمة الطبيعية

كَسِفَتْ بَعْدَ الشَّمْسِ بُدُورَهَا
بِأَزْهَادَاتِ الْعَلَا وَقُصُورَهَا

بقلم الأستاذ محمد عبد الله عنان





أحد القصور العريقة في رندة ويبدو فيه أثر العمارة الإسلامية واضحا .

أدخل المسلمون زراعة النخيل الى الأندلس



لا يتسع هنا للافاضة في الحديث عنهم ومن ثم فإننا نكتفي بذكر ثلاثة من اعلامها البارزين . وأولهم أبو القاسم أخيل بن اديريس الرندي المتوفى سنة ٨٥٦٠ هـ (١١٦٥ م) . وقد كان اخيل من أبناء رندة الذين أحرزوا السبق في ميدان الأدب والسياسة معا . فقد كان كاتباً بليغاً وشاعراً مطبوعاً ، ظهر لأول مرة بالكتابة لامراء الدولة المرابطية ، التي كانت تيسط يومئذ سلطانها على الأندلس ، ولما ضعف أمر المرابطين ، امتدت الثورة ضدهم الى معظم قواعد الأندلس ، قام اخيل في بلده رندة ، واستطاع أن ييسط حكمه عليها مدة قصيرة ، ولكنه عزل عن ولايتها على يد بعض نواب ابن حَمْدُود أمير قرطبة ، فعبر البحر الى المغرب واتصل بالموحدين الذين بزغ نجمهم يومئذ ، ثم عاد الى الأندلس ، وتولى قضاء قرطبة ، ثم وُلِّي قضاء اشبيلية ومكث بها حتى وفاته .

على أن رندة تشتهر بنوع خاص ، بعلمين من أبنائها ، هما أديبها وشاعرها الكبير أبو الطيب الرندي صاحب مريثة الأندلس ، وامامها الشهير ابن عباد الرندي القطب الصوفي وشارح الحكم العطائية .

فأما الأول ، فهو أبو الطيب صالح ابن موسى بن شريف النفري ، شاعر الدولة النصرية ، ولد برندة سنة ٦٠٩ هـ ونشأ بها ، وبرع في النظم والنثر معا ، وقد وصفه القاضي ابن عبد الملك في « التكملة » بأنه خاتمة أدباء الأندلس . وعاش أبو الطيب الرندي في عصر الفتنة الكبرى ، التي اضطرت بها الأندلس في أواسط القرن السابع الهجري ، والتي تمخضت عن سقوط معظم القواعد الأندلسية في أيدي النصارى ثم عن قيام مملكة غرناطة تحت ظل بني الأحمر لتضم ما بقي من اشلاء الأندلس الممزقة . ونظم أبو الطيب يومئذ في رثاء الأندلس مريثته الشهيرة التي أولها :

لكل شيء اذا ما تم نقصان

فلا يُغَيَّر بطيب العيش انسان
هي الأمور كما شاهدتها دول

من سره زمن ساءته أزمان
وهذه الدار لا تبقى على أحد

ولا يدوم على حال لها شان
يمزق الدهر حتما كل سابعة

اذا نبت مشرفيات وخيرصان

وقد اتصل الشاعر بالدولة النصرية الفتية منذ قيامها ، فقربه السلطان محمد بن الأحمر النصري ، مؤسس مملكة غرناطة ، وغدا شاعره الأثير ، وكان يعجب بشعره وبطرب له ، واشتهر الى جانب مريثته الأندلسية المبكية بمدائحه للسلطان . وتوفي أبو الطيب الرندي في سنة ٦٨٤ هـ (١٢٨٥ م) .

وأما الثاني من أعلام رندة البارزين ، فهو القطب الامام أبو عبد الله محمد بن أبي اسحق ابراهيم بن أبي بكر بن عباد ، العالم الزاهد المتصوف ، ولد برندة سنة ٧٣٣ هـ ونشأ بها وبرع في النحو والأدب والشريعة ، والأصول والفروع ، حتى ذاعت شهرته ، وعبر البحر الى المغرب ، ودرس في فاس وتلمسان ، وتلقى عن أقطاب عصره ، واشتهر ببراعته في النحو والعربية واتقان أصولها ولا سيما كتب ابن الحاجب وابن مالك ، والزجاج وغيرهم . واشتهر بنوع خاص بشرحه لكتاب « الحكم العطائية » وهو الكتاب الذي وضعه العلامة المصري تاج الدين بن عطاء الله السكندري المتوفى سنة ٧٠٩ هـ ، وقد كان من أكبر علماء عصره في أصول الدين والشريعة . وتوفي ابن عباد في شهر رجب سنة ٧٩٢ هـ (١٣٩٠ م) .

ورندة الحالية ، مدينة متوسطة الحجم ، يبلغ عدد سكانها نحو أربعين ألفا ، ويشقها من الشمال الى الجنوب شارعها الرئيسي المسمى شارع أرمينان « Arminan » وعلى جانبيه تقع المتاجر والمقاهي الرئيسية ، وتتفرع منه الدروب الى أنحاء المدينة يمينا ويسرة . وأهم معالمه مسرح مصارعة الثيران « كوريدا - Corrida » وهو أقدم مسرح من نوعه أنشئ في اسبانيا ، وذلك في سنة ١٧٨٤ وهو يمتاز بمدخله الفخم المعقود ، ذي الزخارف المدجنية .

ورندة رندة طائفة متنوعة من المعالم الأندلسية ، وأهم هذه المعالم القنطرة العربية القائمة على نهر لبين . وهذه القنطرة بالرغم من صغرها ، تعتبر من أهم الآثار الأندلسية الباقية ، وهي تضارع قنطرة طليطلة الشهيرة ، في روعتها ومنعتها . وتقوم على النهر في منخفض عميق عند مدخل المدينة الغربي ، وهي ذات عقد واحد رائع الهندسة ، بالغ الارتفاع ، والنهر يمر من تحتها بين صخور وعرة شاهقة . ولنا نعرف تاريخ انشاء هذه القنطرة ، ولكن يبدو من طرازها أنها قد أنشئت في العصر الأندلسي الأول في القرن الثاني أو الثالث الهجري .

والأثر الثاني من آثار رندة الأندلسية ، هو قصر الأمير أبي مالك المريني - وهو يعرف اليوم بـ « منزل خيجانتي - Casa del Gigante » وهو اسم الأسرة الاسبانية التي تملكه . ويقع هذا المنزل في طرف المدينة الجنوبي على مقربة من الكنيسة الكبرى ، في بعض الدروب الضيقة ، وله فناء أندلسي رائع يزدان أحد جوانبه بستة عقود عربية ، وقد زينت رؤوس أعمدتها بالزخارف العربية الجميلة . وتوجد بجوار الفناء قاعة أندلسية كبيرة ذات سقف خشبي مطعم بالقرنصات ، وفيها عقدان كبيران متقابلان قد غُصا بالزخارف والكتابات العربية . كذلك يوجد في أعلى جانبي القاعة كثير من النقوش الرخامية المتداخلة ، ومعظمها آيات قرآنية وأدعية وتحيات للسلطان . وينسب هذا المنزل حسبما تقدم الى الأمير أبي مالك ، ولد السلطان أبي الحسن المريني ملك المغرب . والمعروف أن ابن الأحمر ملك غرناطة تمكننا للمودة بينه وبين بني مرين ملوك المغرب ، وضمانا لمعונهم ونجدتهم ،

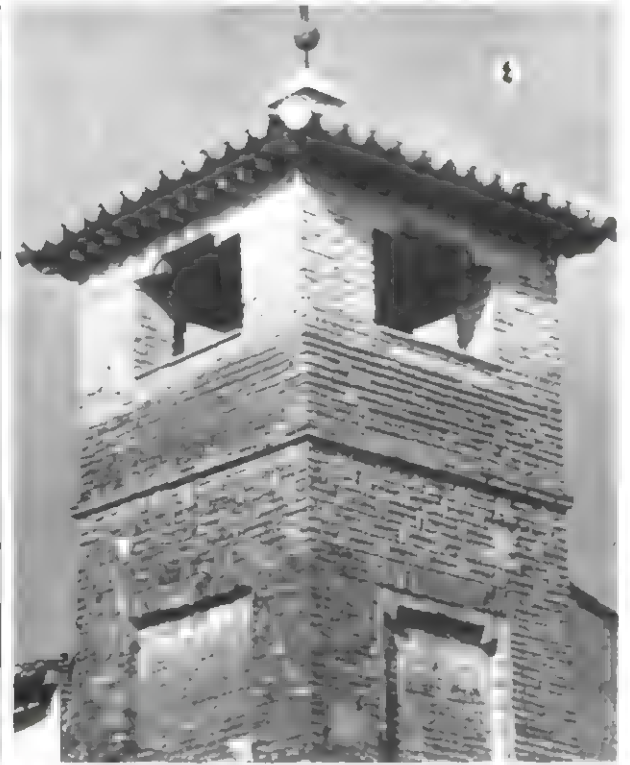


يقف هذا المبنى كثال حي لفن العمارة الاسلامي .

سجار النخيل المنتصبة أمام برج رندة الشامخ .

البرج رندة ما زالت تحتفظ بكثير من سماتها الأندلسية . ويرجع ذلك أولا الى أنها لم تسقط في أيدي الاسبان الا في عصر متأخر ، في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي ، وثانيا الى طبيعتها الصخرية الوعرة ، التي لم تسمح بتحويلها الى مدينة عصرية حديثة ، ومن ثم فانها ، مثل مدينة طليطلة ، التي تماثلها في طبيعتها الصخرية باقية على خططها الأندلسية القديمة ، من الدروب الضيقة المتعرجة ، والمنازل المنخفضة ذات الأفنية الأندلسية ، في وسطها النوافير وأشجار النارج والنجيل . ويبدو أن رندة الحالية كانت تمتد نحو الجنوب الى أبعد مما هي الآن ، اذا تأملنا موقع الكنيسة الكبرى ، التي تقوم عادة فوق موقع المسجد الجامع . ونحن نعرف من تخطيط المدينة الاسلامية ، أن المسجد الجامع كان يقوم في وسطها ، كما يبدو أن خطط المدينة الأندلسية كانت تنتهي عند القنطرة العربية التي يجيء ذكرها ، وعند أسوار القصبة ، التي تقوم أطلالها تجاه القنطرة من ناحية الجنوب وان الجزء الحديث من المدينة الحالية ، يمتد ما بين القنطرة العربية ومدخل المدينة .

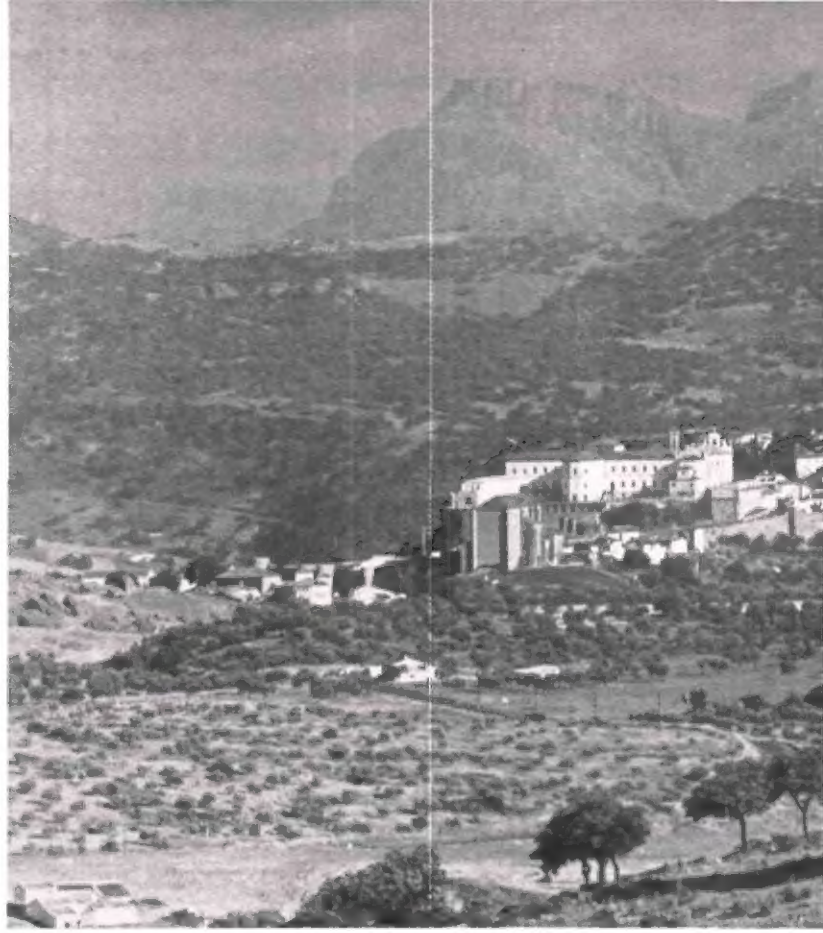




صغير . وتقوم مباشرة بين منزلين صغيرين .
ويبلغ ارتفاعها نحو اثني عشر مترا . ويوجد
في وسط كل جانب من جوانبها الأربعة
كُوتان . وقد سُدَّت الكُوى في جانبيين .
وبقيت في الجانبين الآخرين لتدل على أصلها
الاسلامي . وعلى صفتها كمئذنة لمسجد صغير .
وقد حُولَ هذا المسجد فيما بعد الى كنيسة ،
وحُولت الصومعة الصغيرة الى برج ، وبقي جزؤها

كذلك بناء أندلسي آخر على
مقربة امن النهر تملكه أسرة
« سالبيرا » لاسبانية وهو عبارة عن قصر
أندلسي صغير فخم ذي فناء أندلسي .
تزين جوانبه الأربع عقود أندلسية بديعة .
وهناك في نهاية المدينة ، قبل الكنيسة
الكبرى بقليل ، يوجد أثر أندلسي مؤثر هو
عبارة عن صومعة (منارة) قديمة تقع في ميدان

ضد النصارى . قد تنازل اليهم عن مدينة رندة
وجبل طارق ، والجزيرة الخضراء ، لتنزل بها
جنودهم القادمة للغوث والانجاد ، وذلك منذ
أوائل القرن الرابع عشر الميلادي ، وقد بقيت
هذه القواعد في حوزتهم عصرا ، وقد أقام
الأمير أبو مالك برندة فترة من الوقت حينما
انتدبه أبوه السلطان أبو الحسن واليا على
أملاكه الأندلسية .



١ - معظم منازل مدينة رندة منخفض ويتألف المنزل من طابق أو طابقين يحتوي على فناء تفرس فيه الأشجار الظليلة . ٢ - منظر عام لمدينة رندة تحف بها الجبال الشامخة المكسوة بأشجار الزيتون . ٣ - تستأثر الأبواب ومداخل البيوت في رندة بأدق الزخارف والنقوش . ٤ - المنارة العربية وهي مربعة الشكل تشبه طراز مآذن عصر الموحدين في الأندلس . ٥ - طبيعة المنطقة الوعرة في رندة لم تقف حائلا دون تشييد المنازل على رؤوس الصخور الشامخة . ٦ - القنطرة العربية القائمة على نهر وادي « لبن » ، وهي من أهم الآثار الأندلسية الباقية . تصوير : خليل أبو النصر



أطلال الحمامات العربية في طرف مدينة رندة الجنوبي .

الآكام العالية . وتتكون هذه الأطلال من جزء من سور رندة القديم ، وثلاث بوائك ضخمة ، وبقايا أبراج دارسة . وفي أسفل هذه المجموعة من الأطلال يقع عقد باب من أبواب القصبه . وقد كانت قصبه رندة بموقعها المنيع الوعر ، من أشهر القصبات الأندلسية . وكانت فيما يبدو تمتد الى مسافة كبيرة على حافة الوادي العميق .

والخلاصة ان رندة الأندلسية ، ما زالت تحمل طابعا أندلسيا أصيلا ، يلمسه السائح المتجول منذ أن يضع قدمه على ترابها

رندة الأندلسية كانت تمتد الى ما بعد هذه البقعة نحو الجنوب ، اذ كان الجامع يقع في وسطها لا في نهايتها .

ويوجد ثمة حتى اليوم باب من أبواب رندة الاسلامية وهو باب المقابر « Puerta de Almocabar » وهو يقع في طرف المدينة الجنوبي الشرقي ، على مقربة من الكنيسة الكبرى ، وهو ذو أربعة عقود عريية ، ويوصف بأنه أحد الأبواب الثلاثة الرئيسية لرندة الاسلامية .

أما قصبه رندة الأندلسية ، فلم يبق منها سوى أطلال دارسة ، وتقع هذه الأطلال فوق ربوة عالية تطل على الوادي السحيق الذي تشرف عليه رندة من ناحية الجنوب تظله

الأسفل على حاله . ويشبه طراز هذه الصومعة طراز الصوماع الموحدية على نسق « لاختيرالدا » صومعة اشبيلية العظمى .

فصل الكنيسة العظمى في طرف المدينة الجنوبي ، وهي تحتل حسبما تقدم موقع جامع رندة . وقد بني نصفها القديم ، الذي به الهيكل ، في أواخر القرن الخامس عشر ، بعد سقوط رندة بقليل ، على أنقاض الجامع ، وأدمج في هذا القسم من أطلال الجامع أربع قباب عربية صغيرة ، ركبت في سقف الكنيسة ، وهي ظاهرة وحيدة الطراز . أما القسم الآخر من الكنيسة فهو حديث البناء . وموقع الكنيسة وهي التي تحتل موقع الجامع ، في طرف المدينة اليوم ، يدل حسبما تقدم على أن مدينة

تسهم الآلة في عملية تلقيح النخيل لتوفير الوقت والجهد للعاملين .
رامح مفاك « الزراعة والآلة »
تصوير : جاسم ليلان





پنج معانی «زندہ... مدینہ ان لعیۃ نالہ» تصویر: جلیل پورانی